عادات الموت كمحدد للسمات الثقافية للمجتمعات الريفية فى المجتمع المصرى

دكتوة/ مرفت حسن برعى

المدرس بقسم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الغنسانية

جامعة قناة السويس

مقـــدمـة

تعد العادات الشعبية ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية؛ وحقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعى. نصادفها فى كل مجتمع، وعند الشعوب البدائية والمتقدمة وفى حالتى الاستقرار والانتقال، والاضطراب والتحول. وهى تؤدى الكثير من الوظائف الاجتماعية المهمة[١].

وإذا استعرضنا الدراسات التى تناولت الجوانب المختلفة للعادات الشعبية؛ والتى تتشعب لتشمل جميع نواحى الحياة. نجد أن دراسة عادات الموت لم تلق اهتماما كافيا فى تلك الدراسات؛ على الرغم من أن الموت يحتل منزلة خاصة فى حياة المصريين، من حيث اعتقادهم بأنه انتقال من حياة أولى فانية إلى حياة أخرى باقية.

ولعل هذه السمة تتضح من خلال ما أولاه المصريون القدماء من اهتمام بالموتى ومكان دفنهم، ذلك الاهتمام الذى ربما فاق رعايتهم للأحياء وأماكن إقامتهم. للإعتقاد السائد عن الخلود فى حياة أبدية سرمدية.

وتعد الحقيقة الجوهرية المتعلقة بعادات الموت مجالا خصبا للدراسات الأنثربولوجية، ذلك لأن الموت وطقوسه يعكسان القيم الاجتماعية التى يرتبط بها الناس فى حياتهم، ويمثلان قوة مهمة فى تشكيل تلك القيم كما أنه يعكس الخبرات التى يمرون بها، حيث تتضح الأحوال الاجتماعية والثقافية الأساسية للبشر عند تناول تلك الطقوس[٢].

ولقد كان ذلك دافعا لاختيار عادات الموت مجالا للدراسة. ويعد التعرض لها إسهاما متواضعًا في ميدان البحوث الفولكلورية التي تتناول جانبًا من جوانب دورة الحياة.

أولا–أهمية دراسة الموضوع:

ترجع أهمية الدراسة وتتبلور في ضوء التغيرات التي يتعرض لها مجتمعنا، حيث يصبح رصد العادات قبل تغيرها أو بعده ضرورة ملحة. كما أن تسجيل عادات وتقاليد وطقوس الموت فى مجتمع من المجتمعات التقليدية يعطى أبعادًا أوفر لبحث تجانسها الثقافى، وفهم السمات الثقافية التى تميز مجتمعاتنا التقليدية مما يعمق فهمنا لأبعاد ثقافتنا ؛ حيث يشير بعضها لطبيعة الشخصية المصرية، ويسمح لنا بفهم العناصر الإيجابية فهما متعمقا للتغلب على القوى التى تحيط بنا، وزيادة قدرتنا على رؤية واقعنا الحضارى رؤية

تسمح لنا بالتحكم فيه وتوجيهه لما في صالحنا، ونكون قد حاولنا أن نضع حجر الزاوية لأية محاولة تستهدف تطوير أو تغيير الواقع .

وتعد المجتمعات القروية من الموضوعات المهمة التى تجذب كثيرًا من الباحثين الاجتماعيين والأنثربولوجيين، بل أنها تعد من الملامح الأساسية للدراسات الأنثربولوجية فى القرن الحادى والعشرين، وقد ساهمت هذه الدراسات فى دراسة الجماعات الريفية فى محاولة لتطبيق مناهج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على أسس علمية موضوعية[٣].ولما كانت هناك بعض الآراء التي تشير إلى أن المجتمعات الريفية تعمل على الحفاظ على التراث أو حمايته ضد عوامل التغير، فقد اتجهت الدراسة إلى محاولة اختبار هذه الآراء داخل إحدى القرى المصرية، وهى قرية صغيرة تقع فى شرق محافظة الإسماعيلية يطلق عليها اسم "قرية العبور".

وتتضح أهمية تحديد السمات الثقافية من خلال دراسة عادات وتقاليد الموت فى هذه القرية إلى أنها تجمع ريفيين من أصول مختلفة: "ريفيون من أهل الدلتا، و ريفيون من البدو، وريفيون من أهل صعيد مصر".

كما استهدفت الدراسة مقارنة ما تم جمعه من مادة اثنوجرافية حول عادات الموت، والتى قد تحمل بعض السمات الثقافية المشتركة والنتائج التى توصل إليها كل من "منى الفرنوانى "، و"سميح شعلان" عن عادات الموت في قريتين مصريتين تقليدتين من قرى مصر الحديثة والمعاصرة فى أماكن مختلفة ومراحل زمنية متباينة. للخروج ببعض السمات الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية المصرية الثابتة التى لا تتغير. حيث كانت دراسة "منى الفرنوانى" فى(قرية البراجيل) وهى قرية ريفية تابعة لمحافظة الجيزة. وذلك فى دراستها المعنونة بـ"التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة *دراسة متعمقة لقرية مصرية*" فى الفترة من ١٩٨٥:١٩٨٩م. أما دراسة سميح شعلان فى (كفر الأكرم) وهى قرية ريفية تابعة لمحافظة المنوفية. وذلك فى دراسته المعنونة بـ"الموت فى المأثورات الشعبية" فى الفترة من ١٩٨٧:١٩٩١م. وقد تمت هاتان الدراستان فى الثمانينيات وبداية التسعينيات من هذا القرن على هذه المجتمعات التقليدية فى المجتمع المصرى.

ويمكن من خلال دراستنا الكشف عن الخصائص المشتركة والملامح المتشابهة فى مجال التنظيم الاجتماعى فى هذه المجتمعات الريفية التقليدية، حيث إن تشابه الظروف الإيكولوجية تجعل الاستجابات للجماعات البشرية متشابهة. كما يمكن الكشف عما تتميز به من أصالة وسلبيات[٤] من خلال دراسة عادات الموت والتصورات الخاصة به فى هذه القرى المصرية، والتى قد تكشف أن الإنسان المصرى عندما اجتمع مع غيره عاشوا معا متكيفين مع بعضهم البعض، ونتج عن ذلك انه أصبح لهم سمات مشنركة (توفيقية) على الرغم من بعض التفصيلات الدقيقة والتى تحمل بعضا من سمات شخصية المجتمع المنتمى إليه.

ونظرا لما يمثله الموت من مكانة خاصة فى حياة المصريين من حيث اعتقادهم فى البعث، ومن أكبر الأدلة على ذلك اعتقادهم بضرورة الحفاظ على الجسد دون أن يصبه التحلل والفناء بعد الموت، ومن هنا نشأت فكرة "التحنيط"[*] والتى أوحت لهم بفكرة بناء الأهرامات[٥].

وهذا يدلنا على أن هناك سمة أساسية متأصلة في الشخصية المصرية ألا وهى الإيمان بأن هناك حياة أخرى سوف يحياها الإنسان بعد الموت. وهى حياة خالدة سيرى فيها ألوان النعيم والأمان والراحة والسعادة الأبدية، إذا كان عمله صالحا وخلقه حسنا فى الدنيا، وسوف يرى ألوان الجحيم والعذاب فى الدنيا الآخرة إذا كان شريرا وأعماله سيئة. لذا نجد أن المصرى القديم عرف عنه حسن الخلق وخشية الله سبحانه وتعالى وعمل حساب الآخرة، وتعد أهرامات الجيزة أهم وأكبر المقابر الموجودة لأمراء وملوك المصريين القدماء. وعبر المصرى القديم عن إيمانه وأرائه حول حياة المُلك بعد الموت فى"نصوص الأهرامات" وفى"كتاب الموتى" وكيف ينعم بحياته الأبدية فى معيشة رغدة هانئة ومكان يملؤه الصدق والمودة، إذا كان يقيم العدل فى حياته ويبعد عن جرائم الزنا والقتل والأخطاء المرتبطة بالزراعة وحقوق الأرض والماء ودفع الضرائب[٦]؟.

ودراسة عادات الموت بهدف محاولة رصد جوانب الموضوع داخل منطقة محددة. دراسة ميدانية بقرية العبور "محافظة الإسماعيلية"، والنتائج التى تم الوصول إليها عن عادات الموت في قريتين مصريتين تقليدتين من قرى مصر الحديثة والمعاصرة فى أماكن مختلفة

ومراحل زمنية متباينة. مما قد يؤدى للوصول إلى بيانات أكثر عمقا وتركيزا عن طبيعة البنية الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية، ومن ثم تحديد سماتها الثقافية.

ثانيا–أهداف الدراسة:

١– جمع وتسجيل لعادات وتقاليد الموت لمنطقة ثقافية قبل تغييرها أو اندثارها.

٢– تحديد السمات الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية فى المجتمع المصرى" ورصدها وتحليلها...

٣– تعميق فهمنا لأبعاد ثقافتنا وموروثاتنا الثقافية لزيادة قدرتنا على رؤية واقعنا الحضارى ومحاولة تغييره لما فيه صالح مجتمعنا المصرى وتطوره.

٤– التعرف على المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة فى عادات الموت والتى أدت إلى تغيرها.

ثالثا– الإجراءات المنهجية للدراسة :

وتشمل الإجراءات المنهجية للدراسة على: تساؤلات الدراسة، إلى جانب مناهج البحث وطرق جمع البيانات، وأخيراً فترة العمل الميداني .

تساؤلات الدراسة:–

وحيث إن هذه الدراسة تقوم على البحث الميدانى، فقد تم وضع مجموعة من التساؤلات وهى:

١- إلى أي مدى تعكس المراسم والاحتفالات المصاحبة لحدوث الوفاة فى مجتمع الدراسة السمات الثقافية المتأصلة للمجتمعات التقليدية فى المجتمع المصرى؟.

٢- إلى أى مدى يتضح أثر الدين الإسلامي فى ثبات أو استمرار العادات والممارسات الشعبية التي تتعلق بالموت ؟.

٣- ما تأثير انتشار التعليم والوعى الدينى فى استمرارية السمات الثقافية أوتغيرها فى المجتمعات التقليدية الريفية ؟

مناهج الدراسة وأدواتها:

١– منهج دراسة المجتمع المحلي :

كان لمنهج دراسة المجتمع المحلي الدور الواضح في تناول الدراسة بوصفها تعبيراً عن عادات جماعة محددة تشترك في مصالح واهتمامات واحدة وترتبط بروابط معينة، فهم يعيشون معاً، وينتمون إلى مكان واحد، وتربطهم علاقات تحكمها قواعد معينة(٧).

وقد وضع فى الاعتبار الدور الذى تلعبه المؤسسات الرسمية وغير الرسمية فى عادات الموت .

كما أسهم هذا المنهج فى التعرف على حدود المشاركة بين أفراد مجتمع البحث والتى تدعو إلى تفاعل الأفراد داخل المجتمع المحلى من أجل إشباع حاجاتهم فى التواصل الاجتماعى. وقد برزت تلك المشاركة بشكل واضح فى التجهيز للغسل والدفن والتجهيز لتلقى العزاء من ولائم الغذاء والعشاء للمقرئين والمعزين، واشتراك مجتمع البحث بحدود مختلفة فى القيود المتعلقة بالحداد. وبعض المجاملات التى تصدر عن النساء إزاء صاحبات المصيبة من القريبات والصديقات والجارات. "أثناء تشييع جثمان الميت وعزاء القبر وعزاء المأتم، وكذلك عزاء الخميس والأربعين، وبعد الوفاة بعام"، ومن خلال تلك المشاركة تلعب دراسة المجتمع المحلى دورا آخر فى توجيه الاهتمام إلى دراسة سمة من سمات الشخصية الريفية والتى تتجلى فى المشاركة الاجتماعية والتآزر والتضامن بين أبناء القرية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن منهج دراسة المجتمع المحلى يتطلب الاهتمام ببعدين هما:

النطاق الجغرافى، والعلاقات المتبادلة بين الأفراد، ويكون ذلك من خلال وضع بعض النقاط موضع الاعتبار، وتتمثل هذه النقاط فى :

أ–الحيز: وقد أثمر مفهوم الحيز من خلال دراسة المجتمع المحلى فى التعرف على التأثيرات المتبادلة بين القرية والمدينة، وذلك من خلال الوقوف على: حالة المبانى، والكثافة السكانية، وطرق المواصلات بين قرية البحث ومدينة الأسماعيلية حيث تعتبر المعدية هى الوسيلة الوحيدة للانتقال من وإلى القرية، وكذلك التأثير السيكولوجى للبيئة فى قرية البحث.

ب–الخلفية الاجتماعية للأفراد: وقد ساعد هذا المدخل من حيث وصفه لخصائص السكان الاجتماعية فى منطقة البحث فى التعرف على اختلاف العادات المتعلقة بالموت وتأثرها بهذه الخصائص.

جـ- الأنماط الثقافية: وقد أسهم هذا المنظور فى التعرف على وجود رموز متمثلة فى أنماط خاصة من السلوك والعادات والتى تميز أهل القرية عن غيرهم من القرى الأخرى، وتضفى عليهم نوعًا من الخصوصية.

د-التفاعل الفردى والجماعى: ويظهر هذا التفاعل بصورة واضحة فى المشاركة الاجتماعية للأفراد فى حالة الوفاة، وتلعب التنظيمات غير الرسمية دورا فى هذا التفاعل..

هـ-الأنساق الاجتماعية: ومن خلال الأنساق الاجتماعية فى مجتمع الدراسة أمكن التعرف على تضافر التنظيمات الرسمية (الجامع ومركز الشباب)، وغير الرسمية (جمعية دفن الموتى، وجمعية تنمية المجتمع) فى الإبقاء على بعض العادات المتعلقة بالموت والمحافظة على استمرارها، ليحافظ النسق الاجتماعى ككل على قدر من توازن القوة بين وحداته المختلفة..

٢-الدراسة الأيكولوجية :

وقد استعان البحث بالدراسة الأيكولوجية بوصفها (تهتم بالخصائص الفيزيقية لبيئة معينة من حيث تأثيرها على السلوك الاجتماعى، وتأثرها بهذا السلوك، أى أنها تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة)[٨]، ومن خلال هذا المفهوم كان الاستعانة بالدراسة الأيكولوجية للتعرف على مدلولات الخصائص الفيزيقية لبيئة مجتمع البحث الريفية، والتى تعتمد على الإنتاج الزراعى بصفة أساسية.

وقد كان لتلك الخصائص الأثر البالغ فى طبع عادات الموت بسمة خاصة تميزها عن غيرها من المجتمعات غير الريفية، حيث يستدعى العمل بالزراعة، المشاركة المتبادلة وضرورة الثبات والتركيز والصبر. فالزرع لكى ينضج فهو يمر بمراحل على مهل من بذر وسقى وانتظار الثمر والثبات أمام التقلبات الجوية.

وكذلك المشاركة المتبادلة بين أفراد المجتمع والعمل المتواصل والتعاون فى إنجاز الأعمال الزراعية عند تعرض القرية لظروف مناخية قاسية "كأعمال الحرث وجمع المحصول"، تلك المشاركة وهذا التعاون الدائم فى هذه الأعمال دفعا إلى الاهتمام البالغ من قبل هؤلاء الأفراد بمشاركة واحد منهم مصيبته مشاركة متبادلة بل ولازمة فى كل الأحيان، حيث يلقى المقصر لوما شديدا من قبل جماعته.

إن النبات يتسم بالتجدد والنمو دائما تقطعه فينمو من جديد، وكأنه غفر الإساءة، فألهمت هذه البيئة أهلها التجدد والاستمرار والسماحة والطيبة والوداعة والاستعلاء على المحنة، كما منحت هذه البيئة أهلها الحرية والرخاء المادى فاكتسبوا الرخاء النفسى والرضا وعدم الخوف من العوز والحاجة؛ لأن الزراعة معناها الفائض الذى يحرر الإنسان من معدته ليتفرغ لأعمال أخرى. فطبعت البيئة الأيكولوجية ذلك على شخصيتهم ففيها ثراء البساطة وزهد الغنى وجلال التواضع من حلول العهد بالوفرة والكثرة، وسكينة من مسالمة وسلام.

كما كان للبيئة الزراعية تأثيرها المباشر على الرموز التى تنبىء بحدوث الوفاة، سواء أكانت تلك الرموز من خلال الأحلام، أو من خلال الطيور والحيوانات المرتبطة فى أغلب الأحيان بالحياة فى البيئة الزراعية، "كالكلب والقطة والبومة والدجاجة "، فضلا عن النباتات والزروع التى تشير كذلك الى حدوث الموت.

وساعد المنهج الأيكولوجى كذلك على توضيح الأسس التى تم على أساسها اختيار منطقة المقابر فى أرض صحراوية لا تسمح بتعفن الجثة، بالإضافة إلى بعدها عن المناطق السكنية بحوالى ١٥ كم٢، وعدم جدوى هذه المنطقة الصحراوية كأرض صالحة للزراعة.

٣- المنهج المقارن:

وهو المنهج المستخدم فى العديد من الدراسات فى حقل العلوم الاجتماعية بهدف الخروج بنتائج عن المرحلة الزمنية سابقة عليها، حيث لا تصح سمات وخصائص ومنجزات مرحلة تاريخية ما، إلا بمقارنتها بمرحلة تاريخية سابقة عليها للكشف عن التغير الحادث فى المجتمع وأبنيته.

ويتميز المنهج المقارن بأنه يتوصل إلى مفاهيم مجردة عن الظروف الزمانية والمكانية . كما أنه يهدف علاوة على ذلك إلى المقارنة بين ظواهر من نفس الفئة، وذلك بغض النظر عن جوهرها وموقعها(٩).

وقد استفادت الدراسة من المنهج المقارن فى توضيح عدة متغيرات أساسية هى :-

١-الكشف عن مدى التشابه والاختلاف بين كل من عادات الموت وممارساته وطقوسه فى مجتمع الدراسة وبين عادات الموت فى مجتمعين تقليديين من الريف والحضر.

٢–رصد عادات وتقاليد المجتمعات الريفية التقليدية من خلال ماتوصلت إليها نتائج المرحلة الزمنية محل الدراسة ومقارنتها بنتائج الدراستين اللتينن أجريتا فى مرحلة زمنبة سابقة.

٣–المنهج الأنثربولوجى:

لعب هذا المنهج دوراً مهمًا في هذه الدراسة، فأسهم في اختيار منطقة الدراسة، ودفع إلى اختيارها بحيث تكون مجتمعنا محلياً صغيراً محدود العدد، وهى "قرية العبور" بمحافظة الإسماعيلية، وذلك للتمكن من تغطية كافة جوانب موضوع الدراسة في فترة زمنية معقولة[١٠].

وقد كان للوسائل التي أشار إليها المنهج الانثروبولوجى لجمع مادة البحث ميدانياً دور واضح في الكشف عن الجوانب المختلفة المتعلقة بعادات الموت، مما أسهم في توجيه مسار البحث وإثرائه بالمادة المطلوبة، وذلك من خلال تطبيق دليل العادات والتقاليد الشعبية كموجه للملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المتعمقة.

لقد كانت للملاحظة الأثر المهم في توجيه البحث الميداني، حيث لم يقتصر استخدام هذه الوسيلة على ملاحظة عادات الموت من حيث المكان والزمان اللذين تتم فيهما تلك العادات والطقوس المصاحبة لها. بل امتد اللجوء إليها ليشمل الملاحظة العامة لمجتمع الدراسة .

وقد أسهم ذلك في التعرف على الكثير من جوانب الحياة التي تدفع لفهم أكثر دقة لبعض التساؤلات التي ينسى الأخباريون أو يتجاهلون الرد عليها سواء أكان ذلك عن قصد منهم أم غير قصد . كما أسهمت الملاحظة في التعرف على بعض الأمور التي تتعلق بسير الجنازة والعزاء وكيفية دخول المعزين واستقبالهم .

وكانت الملاحظة من خلال المشاركة الأثر الكبير في الإجابة عن بعض أسئلة الدليل بشكل أكثر واقعية، وقدرة على احتواء كافة عناصر السؤال دون اللجوء إلى الإخباريين إلا للاستفسار عن العمق الزمني للعادة، أو البدائل التي كانت في الزمن الماضي . وقد أسهمت الملاحظة بالمشاركة أيضا في الإجابة عن الأسئلة الخاصة بالجنازة، وتقديم واجب العزاء، وكذلك التجهيز للغسل والتجهيز لاستقبال المعزين .

وتعد المقابلة من أهم الوسائل التي أسهمت في التعرف على الأبعاد المختلفة للظاهرة من خلال الإخباريين المختارين .

وقد ساعدنا فى اختيار هؤلاء الاخباريين وجود ثلاث طالبات ممن يكملون دراستهم العالية بالتعليم المفتوح، واللاتى تقوم الباحثة بالتدريس لهن فى برنامج "الإعلام والتنمية " في جامعة قناة السويس، ويقمن وينتمين لمجتمع الدراسة. إحداهما متزوجة من شخص له أصول صعيدية، والأخريان متزوجتان من شخصين لهما أصول ريفية؛ للتمهيد مع الإخباريين لإجراء المقابلات الأولية معهم، كما كان عليهن عبء التعريف الأولي بمهمة الباحثة، بالإضافة إلى اختيار الوقت والمكان المناسبين لإجراء المقابلات، وكان لهؤلاء الطالبات دور كمصادر للمعلومات الاثنوجرافية فى الوقت الحا ضر، بالإضافة لدورهم فى التمهيد لإجراء الدراسة الميدانية منبثقاً من معرفتهما الوثيقة بالإخباريين وظروفهم الاجتماعية والنفسية، مما أتاح قدراً كبيراً من نجاح المقابلات. كما أتاحت الظروف أثناء هذه المقابلات بالإخباريين حدوث حالات وفاة، مما أتاح للباحثة رؤية ومشاهدة مايحدث فى هذه المناسبات من واجبات العزاء وملاحظة الطقوس والمراسم والعادات التى تصاحب الوفاة، وكذلك سماع ومشاهدت مايدور بين أهل الميت والمعزين من معتقدات مرتبطة بالأحلام والرموز الدالة على قرب حدوث الوفاة والخميسان ....إلخ

وقداستعانت الباحثة بمستويين من الإخباريين من مجتمع الدراسة:

المستوى الأول: إخباريون (كمصادر للمعلومات الاثنوجرافية) على قدر من الوعي والفهم يؤكدان استيعابهم لموضوع الدراسة والغرض منها، مما ساعد على توجيه الباحثة إلى إخباريين بعينهم لإجراء الدراسة الميدانية معهم، كما كان لاتصالهم المباشر بمجتمع الدراسة وعلاقاتهم الوطيدة بالإخباريين المختارين وبجماعة البحث بعامة أكبر الأثر في نجاح المقابلات.

المستوى الثاني: تم اختيار ستة إخباريين اختيروا كوحدة للدراسة، وقد تم ذلك على أساس مايلى: اثنتان من أصل ريفي واثنتان من أصول ريفية صعيدية واثنتان من أصول ريفية بدوية، وقد أسهم كل ذلك في تحديد بعض الملامح المميزة لكل وحدة، ووضعها الطبقي داخل مجتمع الدراسة.

وفد قامت الباحثة بدراسة حالات بعينها دراسة متعمقة، للوصول إلى معرفة الأحداث المهمة التى أدت الى إحداث تغيرات فى حياة تلك الحالات، وكيف تطورت أساليب سلوكها واتجاهاتها عند حدوث التغير خلال فترة زمنية محددة. باعتبار أن هذه الحالات مركبة وتشكل من العوامل التى تؤثر فى وجودها داخل حدود مجتمع معين.(١١) فقد دفع ذلك إلى الاستعانة بهذا الأسلوب دراسة ثلاث حالات (ثلاث أسر). كل أسرة تختلف فى أصولها التى تنتسب إليها (الريف، الصعيد، البدو). وذلك لمعرفة أثر التطورات والتغيرات التى طرأت على أفراد أسرة كل منهم وعلى تصورات وطقوس عادات الموت، فتم اختيار بعض الإخباريين كحالات، وذلك من واقع ارتباطهم الوثيق بموضوع البحث: "كالمغسل"، "والمغسلة"، "والفقى"، "واللحاد، والملقن".

كما كانت الاستعانة بالإحصاءات الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء الدور الكبير في التعرف على مجتمع الدراسة وعلى موقع وأيكولوجية القرية، والأنشطة السكانية وبعض المنشآت الحكومية لأهل المنطقة، وعدد السكان والأسر والمنازل.

٤-كما لجأت الدراسة إلى الاستعانة بالمنهج الفولكلوري بأبعاده الأربعة لما له من أهمية قصوى في جمع العادات والطقوس المرتبطة بحدوث الوفاة، وتحليلها، حيث أسهمت هذه الأبعاد في التعرض للظاهرة من جوانبها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية، ويمكن أن نبين ذلك على النحو التالي :

أ- البعد التاريخي :

أسهم البعد التاريخي في دراسة عادات الموت في صورتها الحالية، ومحاولة تتبع التغيرات التي طرأت عليها للوقوف على مدى استمرار العادة، بالإضافة إلى التعرض لمحاولة تفسير التغير والعوامل المؤثرة فيه . وفى محاولتنا الإجابة عن التساؤل الخاص عن "ما الأصول التى تعود إليها عادات الوفاة فى المجتمع المصرى المعاصر، وتظهر لنا بعض السمات المتأصلة فى الشخصية المصرية ؟ حاولنا التعرف على البعد التاريخى لبعض الطقوس والمراسم والعادات الخاصة بحالات الموت والتى لها جذور تاريخية. فليس عامل الزمن أقل أثرا من بقية العوامل التى تؤلف الثقافة؛ لذلك تبينت أنه يجب دراسة عادات

الموت والطقوس الجنائزية ودفن الموتى منذ عهد الفراعنة إلى الوقت المعاصر لكى يتضح أثر التاريخ الفرعونى على أنماط الثقافة المصرية العامة، والشعبية بوجه خاص.

ولتحقيق هذا البعد تم اللجوء إلى بعض الخطوات لتمكننا من تحليل مادة البحث في ضوء هذا البعد منها :

الرجوع إلى بعض الدراسات السابقة التي تتعرض لنفس موضوع الدراسة وبخاصة تلك التي أجريت في مجال زمني مختلف؛ لينطلق التحليل إلى قدرة بعض العادات والطقوس على الاستمرار وإمكانية التغير.

ب- البعد السوسيولوجي :

أسهم هذا البعد في تحليل الظاهرة من خلال أبعادها الاجتماعية، حيث حرصنا على اختيار الإخباريين بحيث يمثلون الاختلاف الجيلي والنوعي لأفراد مجتمع البحث، مما قد يوضح التأثير الذي قد يحدثه هذا الاختلاف في جوانب الظاهرة، من حيث التمسك أو التخلي أوعدم التبنى لتلك الجوانب .

كما قاد هذا البعد إلى الاهتمام بالأبعاد الطبقية، بمعنى حرص بعض الطبقات دون سواها على التمسك أو الحذف، وحركة العادات بين مختلف الطبقات صعوداً أو هبوطاً

ج – البعد السيكولوجي :

ولهذا البعد أثره في تحليل الظاهرة من خلال ممارسيها؛ ومدى تمسكهم ببعض العادات المتعلقة بالموت، وذلك من خلال عوامل متعددة، منها: التنشئة والتقليد والاعتقاد في أدائها لوظيفة أو دور في حياتهم، كما أسهم هذا البعد في " دراسة الطابع القومي للشعب المصري كما يبدو في تراثه الشعبي [١٢].

والتعرف على التأثير النفسى وما تضفيه الطبيعة الريفية على شخصية قاطنى المجتمعات التقليدية، وما يتميزون به من سمات من عذوبة وود وكرم، وحنو وتراحم يظهر بوضوح فى أوقات الأزمات "كالموت". كما ساعد على تحديد السمات الثقافية لهذه المجتمعات.وأدى استخدام هذه المناهج جميعها إلى جمع أبعاد الظاهرة، وتحليلها من خلال السياق الثقافى والاجتماعى الذي تدور فيه، إضافة إلى الكشف عن الأبعاد المتعلقة

بمشكلة البحث، كما أسهمت هذه المناهج في استخلاص النتائج بشكل يتفق مع الهدف من الدراسة .

رابعا- فترة العمل الميدانى:

بدأ العمل الميدانى فى هذه الدراسة واستمر الاتصال بمنطقة البحث فى الفترة من اكتوبر ٢012م إلى الانتهاء من كتابة هذه السطورفى يناير ٢٠١٤م.

خامسا-القضايا النظرية للدراسة :

حاولنا اختبار قضايا نظرية فان جنب" طقوس العبور"[١٣]سواء في الجمع الميداني، أو تحليل وتفسير جوانب موضوعنا؛ هذا وتنحصر فيما يلي :-

تقوم قضايا هذه النظرية على وجود ثلاثة أنماط من الطقوس والاحتفالات تصاحب الانتقالات عبر المراحل المختلفة أو من عالم إلى آخر سواء أكان كونياً أم اجتماعياً . وتنحصر هذه الأنماط في :-

- طقوس انفصال، طقوس اندماج، طقوس انتقال .

وقد استعانت الدراسة بقضايا نظرية "فان جنب" **Arnold Van Gennep** (١٨٧٣-١٩٥٧)[*] كإطار نظرى يتيح لها دراسة ظاهرة البحث والوصول إلى النتائج المرجوة.

وتقدم دراسة "فان جنب" منظورا مهما بخصوص طبيعة طقوس الموت فى جوانبها الإنسانية: مضامينها و معانيها و تأثيرها. و الفكرة الجوهرية فى نظريته هى أن كل الطقوس التى تتضمن مرورا أو انتقالا من حالة لأخرى، تشترك فى بناء واحد تحدده الوظيفة الضرورية للانفصال عن مكانة واحدة وإعادة الإندماج فى المكانة الجديدة، مع وجود فترة هامشية بينهما. ومن ثم أوضح أن للطقوس بدايات وأواسط ونهايات. وكان "جنب" هو أول من

---

[*](*) قام الباحث الأنثربولوجى الفرنسى فان جنب بدراسة مقارنة لدورات الحياة فى عدد من المجتمعات ففى سنة ١٩٠٩ نشر كتابه الشهير: شعائر المرور the Rites of passage أوضح فيه أن معظم المجتمعات لها طقوس تميز انتقال الأفراد من مكانة لأخرى، كما تناول فيه الطقوس الجنائزية أيضا.

انظر: Paul Ghiberti and Edger V. Whininess, Culture Anthropology (Philadelphia J.B Lippincott Company, 1976, p.169.

لاحظ مدى تماثل البدايات والأواسط والنهايات فى مجموعة كبيرة من الطقوس، وأكد فى ذلك أن هذه التشابهات ليست عشوائية، ولكنها جزء من ظاهرة عامة واحدة، وأ ن البناء أو الإطار العام الذى يشكل أساس مجموعة كبيرة من السلوك الطقوسى يرتبط بالوظيفة الاجتماعية لتعبئة ودمج الأفراد الذين ينضجون

ويكبرون ويموتون فى ظل نسق محدد من الأدوار والمراكز المحددة ثقافيا، وتدل هذه الوظيفة على أن المجتمع يعيش ويستمر ويبقى على الرغم من اختفاء بعض أفراده على مر الزمن[١٤].

ومسح "فان جنب" لطقوس الموت فى أنحاء العالم يركز على الطرق التى يسيطر بها هذا العنصر الانتقالى على النزعة الرمزية الجنائزية، ومن ثم تبدو رحلات البحث عن الماء و العوالم الأخرى مرارا وتكرارا، كما أوضح شيوع عنصر إعادة التوليد والنمو الذى جرى التعبير عنه فى رموز الخصوبة الإنسانية والزراعية .

وقد أوضح فان جنب أن للطقوس الجنائزية أربع وظائف رئيسة هى:

أ- التصرف فى الجثة وإعداد الروح لوجودها الجديد: والعنصر الأخير قد يتضمن تقديم الطعام والنقل للرحلة الروحية، كما هو الحال فى عمليات دفن المصريين القدماء، أو كما هو الحال بالنسبة للعديد من القبائل الأفريقية الذين يعتقدون أن أرواح الموتى تستمر فى نشاطها كمشاركة فى شئون الحياة اليومية[*].

ب–نقل تعبير الحزن وتقديم الدعم وتهدئة نفوس الأقارب وأصدقاء الميت، فالموت أزمة سيكولوجية يمر بها المحيطون بالميت، ولذلك تساعد الطقوس الجنائزية على تماسك الذين يعلنون الحداد، ومن ثم التكيف مع خسارة الموت.

ج– استعادة توازن العلاقات الاجتماعية للأحياء حيث يتم القيام بطقوس منظمة يعاد من خلالها توزيع الأدوار بغية استمرار المجتمع فى البقاء .

(*)(*)وقد أشار الاخباريون انه منذ وقت غير بعيد كانت عادات الوفاة عند بعض السكان الريفيين والذين ينتمون إلى أصول صعيدية تبدأ بصراخ أهل البيت بأعلى صوتهم، وتقوم بعض النسوة بحمل العصى والتشويح بها فى الهواء كتقليد قديم، كما يقمن بتعرية رؤوسهن وتحزيم أنفسهن ويضعن الطين أو الرماد على رؤسهن ويأتى الرجال مسرعين ويقومون بالتعزية.

د- إعادة تأكيد المعتقدات والمعنى العام الذى تضفيه الثقافة على الحياة برمتها[١٥].

فى بقاع مصرنا الحبيبة تختلف بالضرورة طقوس الجنازات والمآتم من محافظة إلى أخرى، ومن قرية إلى قرية فى نفس المحافظة. رغم أنهم يجتمعون فى النهاية على رباط واحد وهو احترام قدسية الموتى. ولكن الشىء الأكثر شهرة فى معظم محافظات صعيد مصر هو "التعديد، واللطم على الخدود والندب"، والذى تتباهى به النساء فى

كل مأتم، حيث تتبارى كل سيدة على حدة فى إبراز موهبتها فى اللطم والتعديد[*].

كما تضع نظرية طقوس العبور عدة محاور لدراسة الأنشطة المصاحبة لطقوس العبور، تتمثل فى: المحور الفولكلوري، والأنثربولوجي، والسوسيولوجي .

وقد أسهمت هذه النظرية في تحليل سلوك المحيطين بالميت وقت حدوث الوفاة وبعدها، وكيف يقومون بمساعدة المحتضر فى الانفصال من الحياة الدنيا بقراءة سورتى الرحمن والفاتحة له وتلقينه الشهادة، وكذلك تحليل سلوك المحتضر ووصاياه، حيث يشير جانب كبير من سلوك المحتضر ووصاياه إلى محاولاته الانفصال عن حياته الأولى.

سادسا–الدراسات الميدانية المقارنة:

لجأت دراستنا الحالية إلى تحليل ثلاث دراسات ميدانية تعرضت لعادات الموت من قرى المجتمع المصرى، وقد تم دراستهم فى مناطق مختلفة ومنذ حوالى ربع قرن.

الدراسة الأولى: دراسة (منى الفرنواني) بعنوان: بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة "دراسة متعمقة لقرية مصرية" لنيل درجة الدكتوراه ١٩٨٩[١٦].

كان المجال الزمني لهذه الدراسة ما بين عامي ١٩٨٥، ١٩٨٩م . أما المجال الجغرافي لها فقد اختارت له الباحثة قرية " البراجيل " التابعة لمحافظة الجيزة.

وتدور الدراسة حول عادات دورة الحياة: الميلاد والزواج والموت في تسعة فصول. وقد اختص الفصل الثامن من الدراسة بعادات الموت وشمل الاستعداد للموت، والتجهيز للميت، والدفن والحداد. واشتمل الجزء الخاص بالاستعداد للموت على: استعداد الحي للموت والعلامات التي تنبئ بوقوع الموت، وسلوك الميت والمحيطين به قبيل وبعد الوفاة،

وإعلان الوفاة . كما اشتمل الجزء الخاص بالتجهيز للميت على: الغسل، القائم بالغسل، عملية الغسل، مخلفات الغسل، الكفن، النعش . أما الجزء الخاص بالدفن فقد اشتمل على: الجنازة، صلاة الجنازة، القبر، الدفن . ثم الحداد الذي احتوى على المأتم، واجبات العزاء، إقامة المأتم، قيود الحداد، مناسبات زيارة القبور، الزيارة نفسها، الرحمة .

وتعد دراسة (منى الفرنواني) من الدراسات الحديثة المتعلقة بموضوع البحث، وقد امتازت الدراسة بالدقة المنهجية، من حيث اعتمادها على دليل الجمع الميداني، كما تميزت بدقة جمع البيانات من خلال العلاقة الوطيدة – التي حرصت الباحثة عليها – مع الإخباريين، مما كان له أكبر الأثر في عمق ودقة النتائج التي توصلت إليها. بالإضافة إلى حرص الباحثة على إبراز ملامح التغير في عادات الموت، والدوافع المؤثرة في هذا التغير، واختلاف الممارسات المتعلقة بالموضوع باختلاف الطبقة الاجتماعية في مجتمع البحث .

وقد استفاد هذا البحث من هذه الدراسة من حيث مقارنة ماجاء بها عن عادات الموت والطقوس الجنائزية فى قرية مصرية تقليدية والتعرف على مدى انتشار كثير من هذه العادات واستمرارها فى مجتمع الدراسة "قرية العبور".

ولتوضيح بعض أوجه الاختلاف في بعض العادات لتعبر عن الخصوصية الثقافية لكل منطقة، خاصة وأن تلك الدراسة قد أجريت على قرية مصرية بعينها منذ أكثر من عشرين عاما. لتعبر عن السمات الثقافية المشتركة فيهما من ناحية، وسمات المجتمع المصرى من ناحية أخرى.

الدراسة الثانية: دراسة (سميح عبد الغفار شعلان) بعنوان: الموت فى المأثورات الشعبية٢٠٠١[١٧].

كان المجال الزمني لهذه الدراسة ما بين عامي ١٩٨٧، ١٩٩١م . أما المجال الجغرافي له فقد اختار له الباحث "كفر الأكرم " التابع لمحافظة المنوفية.

وجاءت الدراسة فى أحد عشر فصلا تناولت تحليل عادات الموت وتفسيرها في ثمانية فصول من "الفصل الثالث إلى الفصل الحادى عشر" حيث تناول الباحث فى الفصل

الثالث دراسة العلامات التى تنبىء بوقوع الموت (الأحلام، سلوك الأحياء المنبأ بوفاتهم، سلوك بعض الحيوانات والطيور، وتناول فى الفصل الرابع الوفاة وإعلانها والخامس التجهيز للدفن (الغسل– التلقين)، أما السادس فقد تناول فيه الدفن (النعش ومكملاته)، وفى الفصل السابع فقد تناول فيه العزاء(العزاء على القبور، العزاء على المآتم، العزاء فى المناسبات)، والثامن زيارة القبور والرحمة(الزيارة ومحدداتها)، فى الفصل التاسع والعاشر الحداد والقبر، والأخير عن التعديد (نماذجه والندب).

وتعد دراسة (سميح شعلان) أحدث الدراسات المتعلقة بموضوع البحث، وقد امتازت الدراسة بالدقة المنهجية، من حيث اعتمادها على التكامل المنهجى ودليل الجمع الميداني، كما تميزت بدقة جمع البيانات وتحليلها من خلال السياق الثقافى والاجتماعى الذى تدور فيه الدراسة، كما أسهمت المناهج التى استخدمها وعلاقته الوطيدة ومعرفته الشخصية للإخباريين، مما كان له أكبر الأثر في عمق ودقة النتائج التي توصل إليها.

وقد استفاد هذا البحث من هذه الدراسة من حيث مقارنة ماجاء بها عن عادات الموت والطقوس الجنائزية فى قرية مصرية تقليدية، والتى أكد أن العديد من تلك الممارسات والطقوس تتمتع بثبات ممارستها مع جذورها المصرية القديمة، وذلك لقدرتها على آداء وظائف ثابتة، كما أكدت تلك الدراسة على مدى انتشار كثير من هذه العادات وتشابهها واستمرارها فى مجتمع الدراسة "قرية العبور"، وقد أوضحت دراسة "سميح" بعض أوجه الاختلاف أيضا في بعض العادات المتعلقة بالموت فى بين دراسته ومجتمع البحث فى هذه الدراسة لتعبر عن حركة تطور المجتمع المصرى من خلال انتشار الفهم الصحيح لتعاليم الدين الإسلامى، وكذلك انتشار وسائل الاتصال فى اندثار بعض المفردات مثل ارتفاع الشاهد على القبر عن الأرض، طقوس الندب وجنازة النساء من شق الجيوب ولطم الخدود ووضع الطين على الرؤوس، كما ينطبق ذلك على المراثى الشعبية (التعديد)، بالإضافة إلى التخفف من قيود الحداد. وقد أجريت دراسة "سميح" على قرية مصرية بعينها فى فترة زمنية تسبق هذه الدراسة بأكثر من عشرين عاما وفى منطقة تقليدية مختلفة .

الدراسة الثالثة: هى الدراسة الحالية "لقرية العبور" وقد قامت الباحثة بمقارنة ماتوصلت إليه دراسة كل من "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان". ودراستنا الحالية لمحاولة الوصول إلى السمات الثقافية التى تتسم بالثبات وتعد من سمات الشخصية المصرية.

كما اتضح من خلال الاطلاع على التراث النظرى الخاص بقدماء المصريين فى عصر الفراعنة؛ أنه لازالت تمارس إلى الآن بعض العادات والطقوس الخاصة بالموت مثل البكاء واللطم، الملابس السوداء، رثاء الموتى الموت إقامة المآتم والعزاء بعد أربعين يومًا ...إلخ.

الإجراءات المنهجية لمجتمع الدراسة:

أولا–أسس اختيار مجتمع البحث :

وقد وقع اختيار الباحثة على قرية (العبور) بمحافظة الإسماعيلية مكانا لإجراء هذه الدراسة للأسباب التالية:

–تتسم هذه القرية بنوعين من الإنتاج هما الإنتاج الزراعى، وأهم محاصيله "المانجو" و الإنتاج الحيواني "تربية الدواجن"، وهى السمة التي تشترك فيها هذه القرية مع المجتمعات الريفية التقليدية التي تنتج "محاصيل السوق، ذات العائد المادى المرتفع كنشاط اقتصادى. الأمر الذى قد يسهم فى ثبات عاداتهم التقليدية المرتبطة بالحياة الزراعية التى اعتادوا عليها منذ القدم، والتي تظهر بدورها فى طقوس وعادات الموت.

–أن سكان هذه القرية يمثلون أنماطًا مجتمعية مختلفة، فالسكان الأصليون كانوا من الريفيون البدو، ثم انضم إليهم العديد من أبناء ريف صعيد مصر، وأبناء ريف دلتا مصر، وأصبح سكانها الريفيون يمثلون ثلاث بيئات مختلفة لكل منها عاداتها وتقاليدها المرتبطة بالموت والتى تختلف من مجتمع إلى آخر.

– قربها من العواصم الحضرية، حيث تبعد عن محافظة الإسماعيلية بمسافة ١٥كم. كما أن بهذه القرية تنمية زراعية – وتكاد تكون البطالة معدومة، ففرص العمل فيها مفتوحة – وهو ما أدى إلى جذب الكثير من الأيدى العاملة من القرى والمحافظات المختلفة.

– وجود وسطاء من سكان هذه القرية أتاح للباحثة بالتعامل الطبيعي والتلقائي مع الإخباريين الذين على معرفة دقيقة بأحوال مجتمعهم اليومية والمعيشية في الإجابة بتلقائية عن الأسئلة المطروحة وسرد المزيد، مما يتعلق بالموضوع، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

–إمكانية الإخباريين تحديد الأوضاع الطبقية لأفراد المجتمع من خلال معرفتهم الشخصية الدقيقة بهم، وكذلك معرفتهم للأسس التى بنيت عليها الجماعة–فى منطقة البحث– حدود هذه الطبقات.

ثالثا–النتائج التحليلية للدراسة الميدانية:

الملامح الفيزيقية لمجتمع الدراسة: تقدم الباحثة فيما يلى موجزًا لمجتمع الدراسة "قرية العبور" توضح فيه الملامح الفيزيقية لهذه القرية متضمنًا موقعها ومساحتها ومواردها البشرية وأنشطتها الاقتصادية لبيان مدى تأثيرها على دورة الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فيها وارتباطها بالأنماط المعيشية وانعكاساتها على العادات والتقاليد المتعلقة بالموت لأهل هذه القرية.

الوصف الجغرافى للقرية :

تعد "قرية العبور" مركز القنطرة إحدى قرى شرق محافظة الإسماعيلية، يحدها من الناحية الشرقية البحيرات المرة، ومن الناحية الغربية محافظة الإسماعيلية، ومن الناحية الجنوبية قرية الأبطال، ومن الناحية الشمالية محافظة شمال سيناء، وتبلغ مساحتها الكلية ٣١٥٠ فدانا، فيها ١٥٠ قرية سكانية، تضم ٧٠٠منزل، ٣٠٠ منزل من قبل الجمعيات و٤٠٠ مبانٍ سكنية خاصة، قام الأهالى ببنائها، وباقي المساحة ٣٠٠٠ فدان[١٨] تمثل زمام الأراضى الزراعية بها.

يوجد بقرية العبور مركز شباب واحد، يطلق عليه مركز شباب "قرية العبور"، ويتوفر به بعض الأنشطة مثل: لعبة كرة القدم، ألعاب جيم(حديد)، مكتبة للإطلاع فقط للأطفال من١٠:١٣ سنة. ويوجد بالقرية محل "سيبر كافية" واحد لألعاب وخدمات الكومبيوتر، ومنضدة للعب البلياردو. كما يوجد بها معهد أزهرى ابتدائى واحد، ومدرسة تعليم أساسى تسمى "العاشر من رمضان".

الموارد البشرية للقرية: يبلغ تعداد القرية٥٥٠٠ نسمة وفقا لتقرير الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء ٢٠١٠ نسمة ويمثلون٧٠٠ أسرة ومتوسط أعداد كل أسرة من ٧ إلى ٨ أفراد.

النشاط الاقتصادى للقرية: يمثل النشاط الزراعى أهم الأنشطة الاقتصادية في القرية، يليه تربية المواشى وأهم الحيوانات الماعز الخراف والماشية وتربية الدواجن حيث توجد"عشش" الدواجن في معظم المنازل، بالإضافة إلى مزارع الدواجن البيضاء المنتشرة بأنحاء القرية بأسعار منخفضة عن سعرها خارج القرية، وأهم المحاصيل الزراعية محصول المانجو، الزيتون والليمون والبذلاء – حيث يعتبر محصول البذلاء من أجود أنواع البذلاء(بدون حبوب) وتصدر للخارج – بالإضافة إلى زراعة القمح، والذرة، البرسيم، والكسبرة، والنظام الزراعى فى قرية العبور من الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية التى تعكس الكثير من القيم والتقاليد الريفية، منها قيمة المشاركة والتضامن والتكافل، وحسن الجوار، فنظام "الزمالة" ويعنى مشاركة ومساعدة الآخرين فى العمل الزراعى دون مقابل، خير مثال على ذلك. وقد يخرج الرجل أو المرأة كأُجراء باليومية للعمل فى أرض الغير، ولكن عندما يكون هذا "الغير" صديقا أو جارًا أو من الأهل يصبح العمل بلا أجر؛ لأن دوافع العمل فى هذه الحالة تختلف، فهى دوافع المحبة والمشاركة وهى من قيم القرية المصرية.

كما يوجد مخبز بلدى واحد، ومطاحن أهلية لطحن الدقيق، بالإضافة إلى "مخابز" أهلية – "فرن فلاحى" لعمل الخبز– وهى منتشرة في غالبية المنازل، فلا توجد أزمة خبز في هذه القرية، ويوجد محلان بقالة تموينية، بالإضافة إلى مينى ماركت واحد، وخمسة محلات فول وطعمية، وشركة كبيرة تسمي "شركة الهدى للفاكهة والخضروات" ومصنع ملحقا بها، حيث تقوم هذه الشركة: بزراعة أشجار الفاكهة وجميع أنواع الخضروات فى عدد من الأفدنة التابعة لها، ومالك هذه الشركة والمصنع رجل مصرى له شريك أجنبى، ويعملان بالاستثمار والتصدير لهذه المنتجات، حيث يشرف على أعمال الزراعة والتصنيع والتعليب لهذه الشركة أجانب، وهم يعتمدون على الأسمدة الطبيعية " العضوية" غير الصناعية فى الزراعة، لذا تتميز منتجات الشركة بالجودة العالية وحسن المذاق والإنتاج الوفير.

وهذه الشركة توفر فرص عمل كثيرة لغالبية الشباب بالقرية، وتوفر فرص عمل أيضًا بهذه الشركة للأطفال من سن١٢:١٥ حيث تبلغ يومية الطفل ٣٥ جنيه في اليوم، وبالنسبة للشباب من الذكور ٤٥:٥٠ جنيها يوميا، والفتيات ٤٠:٤٥ جنيه يوميا، كما تفتح هذه الشركة أبوابها "فرص عمل" لغير أهل القرية، وذلك بالاستعانة بالمزارعين "الفلاحين" و"العمال"من القرى المجاورة والمحافظات الأخرى، حيث يوجد بها مصنع لتغليف وتعبئة الخضروات والفاكهة. وتتمتع القرية بمحطة مياه تضخ ٣٠م^{3}/الساعة. وجمعية تنمية المجتمع.

شكل المنازل: تتشابه شكل المنازل إلى حد كبير جدًا، حيث وزعت المحافظة على أسر وأهالى هذه القرية قطع أرض زراعية مساحة كل منها ٥ أفدنة لكل أسرة، مُقام عليها غرفتان وحوش كبير، والغالبية العظمى من أسقف هذه المنازل مصنوع من الخوص والبعض الآخر مصبوب مسلح، أما دورات المياه فهي مصبوبة "مسلح"، وأمام كل منزل مسطح ١٧٥م٢ أرض فضاء، وحول هذا المبنى وقطعة الأرض الفضاء سور يحيط بها من الطوب الأسمنتى، وإذا رغب أحد السكان فى توسيع منزله، يمكنه الاستفادة من الـ١٧٥م٢ الفضاء كما يشاء، وبالقرية بنيان حكومى وحيد و قديم تابع لهيئة تعمير الصحارى.

يعتمد سكان القرية في غذائهم على لحم الطيور، حيث يوجد لديهم اكتفاء ذاتى من لحوم الطيور، والذي لايقوم بتربية الدواجن من سكان القرية يشترى من دواجن المزارع فهى متوفرة ورخيصة الثمن، والفائض من هذه الطيور يأتى تجار الجملة لشرائه ويقوم بتوزيعه وبيعه في المحافظات الأخرى.

واقتصاد قرية العبور يقوم أساسًا على محصول المانجو، فأى مناسبة من المناسبات(خطوبة، زواج، بناء المنازل، شراء سيارات) يتم بعد جنى محصول المانجو، والمهنة الأساسية للغالبية العظمى من سكان القرية هي الزراعة – فالذين يملكون أراضٍ زراعية يعملون بالزراعة في أراضيهم، والذين لايملكون: يزرعون في أراضى الغير من أثرياء القرية "ممن يملكون فدادين مزروعة بالمانجو، أوفى أراضي شركة الهدى للخضروات والفاكهة، أو يزرعون تحت إشراف الملاك الذين أشتروا أراضٍ فى القرية من المحافظات المجاورة الأخرى.

أهم الحيوانات: الخراف والماعز والماشية ويعتمدون فى غذائهم على الطيور كما سبق الذكر.

سوق الأحد: يقام سوق الأحد فى قرية مجاورة لقرية "العبور"تسمى قرية "الأبطال" حيث يقوم أهالى القرية بشراء مايلزمهم من أغذية، لحوم (أغنام، جِمال، ماشية)، جميع الخضروات والفاكهة، الملابس، وكل ماتحتاجه العرائس من جهاز وأدوات كهربائية.

أصل السكان وشكل الأسرة: مجتمع القرية كمجتمع تقليدى يتسم بأنه مجتمع مستقر ومتوازن بحيث يحصل كل فرد فيه ماله من حقوق فى مقابل ما يؤديه من واجبات وما يلتزم به من مسئوليات ومن ثم يحدد سلوكه على هذا الأساس وفى ذلك الإطار. كما أن الأدوار فى هذا المجتمع تكون واضحة المعالم ومحددة ومحققة لتوازن العلاقات الاجتماعية و التفاعل بين الأفراد[١٨]. سكان قرية العبور الأصليين من البدو، انضم إليهم إناس من الصعيد والريف؛ ولأن البدو لهم عاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم(مثل الزواج من الأقارب فقط، وتعدد زوجات، ونمط الأسرة هو "الأسرة الممتدة" **traditional extended family**) بينما الأُسر ذات الأصول من الريف وصعيد مصر فهى"أُسر نووية" **nuclear family**، وخاصة بين الأزواج المتعلمين الذين يفضلون الاستقلال بحياتهم وتربية أولادهم بأسلوب "حديث" يرونه أفضل من من الأسلوب الذى نشأوا فى ظله.

وعلى الرغم من انتشار شكل الأسرة النووية إلا أن الشكل التقليدى للأسرة الممتدة مازال قائما خاصة بين الأسر غير المتعلمة وإن طرأ عليه بعض المتغيرات – فيبنون فى محيط الخمس أفدنة التى خصصتها المحافظة لكل أسرة – أما البدو فيعشقون العيش فى أماكن ومساكن متسعة، لذلك تركوا وسط القرية للقادمين من الريف وصعيد مصر. وهم يعيشون فى أطراف القرية، وبنوا بيوتهم على مساحات واسعة.

والأسرة فى قرية "العبور" تقوم على تقسيم العمل طبقا للجنس والسن. فتقوم نساء الأسرة فجرا بعملية العجن والخبز، بينما يكاد يكون شراء الخبز من "الطابونة" فى أضيق الحدود. كماتمتلك معظم الأسر غسالة كهربائية، مما سهل عملية غسل وتنظيف الملابس، وتلتف الأسرة كلها لمشاهدة التلفاز "القنوات المحلية فقط أما الفضائية فمحرمة

عادات الموت فى مجتمع الدراسة

أولا– الاستعداد للموت:

سنتناول فيما يلى الاستعدادت التى يقوم بها أهل المتوفى استعدادا للموت. فهناك علامات يمكن الاستدلال منها على قرب حدوثه، وذلك علاوة على سلوك الميت "المحتضر" والمحيطين به قبل وبعد الوفاة.

استعداد الحى للموت:

تتضمن الاستعدادات للموت فى مجتمع الدراسة جانبين الأول: يشمل الاستعدادات المادية والثانى: يتضمن الاستعدادات الروحية.

أولا– الاستعدادات المادية؛ وتتمثل فى:

تجهيز الكفن: و يتكون من: ٢ سترة من القماش أحداهما قطعة قماش كبيرة ومستطيلة من "البفتة"، والأخرى قطعة توازيها فى الحجم من الستان "الأبيض والأخضر" أما سترة المرأة "الكفن" يتكون من جلباب و طرحة باللون الأبيض.

ويعد الاستعداد للموت بشراء كفن من أهم المستلزمات التى كان يتم الحرص عليها.

توجد جمعية تسمى "جمعية دفن الموتي" بمجتمع الدراسة، يديرها شخص تم ترشيحه من قبل أهل القرية، "وهو يتمتع بالأمانة والنزاهة وحُسن السمعة"، حيث يقوم بجمع عشر جنيهات شهريا من كل منزل بالقرية، وتخصص هذه النقود لحالات الوفاة فى القرية، وأحيانا بكفن أيضا للمتوفى يعطى لأهله في حالة الموت فجأة أوعدم المقدرة، على أساس أن يقوم"أهل المتوفى" بعد ذلك بشراء كفن آخر بدلا منه، وفي حالة عدم المقدرة لايلزم[*].

- **شراء قطعة أرض خارج القرية فى "المنطقة السادسة" وهى مخصصة للمدافن وتبعد عن مجتمع الدراسة بحوالى ١٥ كيلو متر.**

ثانيا –الاستعدادات الروحية وتتمثل فى :

- **الوضوء والصلاة قبل النوم خوفا من الموت المفاجىء.**

(*)ويوجد جمعية أخرى لمساعدة المرضى بالدواء، وبالنقود حيث تقوم كل أسرة بدفع مبلغ على حسب مقدرتها المالية. وتشرح أحد المبحوثات كيف أن شخصا مريضا يعانى من "قصور فى وظائف الكليتين" ويحتاج إلى عملية نقل كلية بتكلفة ١٠٠ ألف جنيها، تم جمع المبلغ اللازم لإجرائها من الأهالي وأُجريت له العملية.وهذا يظهر مدى التعاون والتآلف بين أهالى القرية على الرغم من ضعف أحوالهم المادية.

- استرضاء من يشعر المحتضر أنه قد أخطأ فى حقه.

الوصية: إذا أحس المتوفي قبل وفاته أنه مُقبل على الموت أو كان كبير السن يقوم بتوصية الابن الأكبر أو الأخ الأكبر بوصيته وتعبر سلوكيات المحتضر ووصاياه

أنه يحاول من خلالهما الانفصال عن المجتمع الذى كان يعيشه، حيث أظهرت الدراسة الميدانية أن سلوك المشرف على الموت أو المحتضر يمكن أن ينقسم إلى سلوك انفصال وسلوك اندماج ويشير سلوك الانفصال: إلى مجموعة من السلوكيات

تهدف إلى انفصال الميت قبل الوفاة مثل البوح بأسراره ووصاياه، طلب الأحبة والشعور بشهية غير عادية للطعام، ويرون أن المريض عندما تحدث له هذه الحالة تهدف إلى انفصال الميت قبل الوفاة مثل البوح بأسراره ووصاياه، طلب الأحبة والشعور بشهية غير عادية للطعام، ويرون أن المريض عندما تحدث له هذه الحالة

بأنها "صحوة الموت".وسلوك الاندماج: وهو يشير إلى مجموعة من السلوكيات تهدف إلى إدماج الميت بعد الوفاة بصورة طيبة فى حياته الآخرة مثل: الندم وطلب المسامحة ممن ظلمهم أو تخاصم معهم، الوضوء قبل الموت تمهيدا للقاء الآخرة (و يقتصر هذا السلوك على الأتقياء و الصالحين) وهذا السلوك من الناس يتيح لهم اندماجا طيبا فى الحياة الأخرى.

- وتتفق الاستعدادات الروحية للموت مع ماأشارت إليه دراسة كل من "منى الفرنوانى" ١٩٨٥، ودراسة "سميح شعلان"١٩٨٧ فى مجتمعى الدراسة من حيث الوضوء والصلاة قبل النوم خوفا من الموت المفاجىء، استرضاء من يشعر المحتضر أنه قد أخطأ فى حقه. وما تعبر عنه سلوكيات المحتضر ووصاياه وخاصة بالنسبة للمرضى، وقد أشارت "منى الفرنوانى" بأنه فى قرية البراجيل التى قامت بدراستها توجد "جمعية تسمى " جمعية الموت" – وهى تشبه "جمعية دفن الموتى" بقرية "العبور" تدفع فيها كل أسرة من المجتمع عشرة قروش شهريا– والاختلاف فى الاشتراك الشهرى يرجع إلى اختلاف قيمة العملة للفارق الزمنى– يستطاع من خلالها توفير ما يكفى تكاليف حالة الموت لدى أحد أفراد القرية. ولم يشر "سميح" إلى وجود مثل هذه الجمعيات فى "كفر الأكرم"، ولكن أشار أن النعش مملوك

للجماعة، ويتم من خلال التبرعات، وفى بعض الأحيان يتولى أحد الأثرياء الأنفاق على عمل النعش طلبا للثواب.

– وهذا يؤكد سمة من سمات المجتمعات الريفية التقليدية وهى التعاون والتضامن ورقة المشاعر والتآزر وقت الشدائد.

كما تتفق نتائج دراستنا حول الاستعداد للموت مع نتائج دراسة كل من "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان" فى الجانبين المادى والروحى مع اختلاف طفيف فى الإجراءات الشكلية فقط مع تطابق المضمون، وقد يشير هذا الاتفاق إلى مدى ثبات هذه الاستعدادات، على الرغم من اختلاف الأماكن والأزمنة التى تمت فيها دراستهما.

العلامات التى تنبأ بوقوع الموت:

هناك علامات أجمع عليها المبحوثون فى مجتمع الدراسة تحدث قبل الموت.

١- العلامات الفيزيقية: وتظهر هذه العلامات فى الأغلب على المرضى ومن هم على فراش الموت، حيث يتنبأ المحيطون بالمريض بموته، ومن هذه العلامات الرغبة فى أكل نوع معين من الطعام مثل البطيخ أوالعنب الأرز باللبن....إلخ. اضطراب نظرة العينين، الشخير بصوت مرتفع ومتصل (حشرجة الموت). مع إحمرار الوجه وذرف دموع من عينيه، وعرق بالجبين والدخول فى غيبوبة. وفى بعض الحالات يرون الموتى و البعض الآخر يرى ملائكة على شكل أطفال صغيرة يقدمون لهم أنواع من الطعام والفاكهة. وبعض الأقوال التى تصدر عن المحتضر بقرب ساعة وقوع الموت.

٢- العلامات الروحية: ومن العلامات التى تنبىء بحدوث الموت فى مجتمع الدراسة:

- **نهيق الحمار أو طائر البومة عندما يحوم حول المنزل.**
- **كلب يعوى عواء متصلًا.**
- **أحلام ورؤى تفسر بأن أحد أفراد العائلة سينتقل إلى رحمة الله.**

و إذا توفي الميت ليلا يبدأ بتلتيمه ثم خلع ملابسه التي يرتديها و ترك جلبابًا واحدًا فقط لتُسَهل عملية خلع الملابس أثناء الغُسل، و يتم عمل تمارين بعد الوفاة مباشرة لكي يظل الجسم مرنًا، وذلك بتحريك أطرافه(تكرار فرد وثنى الذراعين والساقين)، ثم يقومون

بتشغيل شريط للقرآن الكريم على جهاز التسجيل بجواره . ويقوم أهله وأقاربه بتقبيله –قبل تغسيله– بقبلة الوداع .

وتتفق دراستنا مع دراسة كل من "منى الفرنواتى "، و"سميح شعلان" فى العلامات التى تنبىء بحدوث الموت مثل رؤيتهم بعض الأحلام التى تشعرهم بقرب المنية. إلا أنه تختلف الأحلام المنبئة للموت من حيث الرموز والدلالات، ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف الحالم ذاته، وقدراته المعرفية المرتبطه بعمره، وحظه من المعرفة، وكذلك علاقته بالميت، وتتدخل البيئة فى تحديد هذه الرموز وطبعها بطابع يتفق مع طبيعتها، من حيث التصورات والمعتقدات التى تدور حول علامات الموت فى المجتمعات التقليدية السابقة الذكر. مما يدل على إيمان الشخصية المصرية بالغيبيات والروحانيات وبالخرافات وتأثرها بالثقافة الشعبية وتراثها الاجتماعي بمختلف طبقاته الاجتماعية و مستوياته التعليمية المتنوعة.

ويقول عباس العقاد: " لقد شاع عن المصريين أنهم أتقياء إلى حد الحماسة، يؤمنون بقضاء الله المطلق فى الخير والشر، ولقد أدى بهم تدينهم إلى الإيمان الكامل بالقدرية والقدر وانتظار الغيب وقلة استعجال المقادير[١٩]

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة كل من "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان" من حيث العلامات الفيزيقية التى تدل على قرب خروج روح المحتضر،، وكذلك رؤية المحتضر لأقاربه الموتى. كما أن ثبات تلك العلامات الفيزيقية يتدعم من حيث وجود سند له فى الشريعة الاسلامية متمثلا فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن يموت بعرق الجبين"، وكذلك روى عن سلمان الفارسى انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :أرقبوا للميت عند موته ثلاثا" إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه، فهى رحمة من الله قد نزلت به، وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه[٢٠]، وقد يشير إلى ثبات هذه العلامات وانتشارها فى المجتمع المصرى.

إعلان الوفـاة:

يتم إعلان الوفاة فى مجتمع الدراسة عن طريق مسجد القرية أو سيارة بها ميكرفون تدور على البيوت، يذاع منها، "إنا لله و إنا إليه راجعون" وكل نفس ذائقة الموت: انتقل إلى رحمة الله "فلان ابن فلان" والد كل من "فلان وفلان" .. وعم"......و......"، ويذاع

أسماء المشهورين من العائلة، و"الدفنة" بعد الصلاة ظهرا أو عصرا (حتى لايدخل المقابر ليلا). هذا بالنسبة لسكان منطقة البحث من أصل ريفى وبدوى، أما سكان منطقة البحث التى يرجع أصولها إلى الصعيد، فيكون إعلان الوفاة عن طريق الصراخ والعويل الذى يصدر من بيت أهل الميت، وينتقل الخبر من بيت إلى بيت عن طريق أحد أقارب الميت. وهذا يدل على تمسك أهل الصعيد بعاداتهم من صراخ وعويل بالرغم من تحريم الدين الإسلامى لذلك السلوك . وهذا ما أشارت إليه "منى الفرنوانى" بأن الصراخ والعويل (بعد حدوث الموت) هو الطريقة الأساسية لإعلان حدوث الموت بالإضافة للإعلان عن طريق مكبر الصوت- إلا أنه تلاحظ اختفاء دور المعددة (حيث كان التعديد على الميت منتشرًا فى صعيد مصر منذ وقت غير بعيد) مما يدل على أن بعض العادات بدأت تتضاءل وأصابها التغير وخاصة العادات السيئة مثل "التعديد". أما "سميح شعلان" فقد اختلفت أساليب إعلان الوفاة فى دراسته، فقد أشار إلى تعدد أساليب الإعلان عن الوفاة (صراخ النساء وعويلهم- إعلان بالصحف اليومية-الاتصال التليفونى-النجاب" وهو شخص يجوب القرى المختلفة ويخبرهم بالوفاة").

ولعل الاختلاف فى بعض التفاصيل التى يتم بها الإعلان قد تشير إلى بعض السمات المميزة لكل منطقة، كما يشير تعدد أساليب الإعلان عن الوفاة على أنه اتجاه نحو التغير فى كثير من المجتمعات المصرية.

ثانيا- التجهيز للدفن:

بعد حدوث الوفاة والإعلان عنها يجهز منزل المتوفى لاستقبال المعزين ويفرش الحصير بفناء المنزل، ويقوم الأقارب و الجيران بإعداد الطعام وإحضاره لمنزل المتوفى، كما يجهز القبر من قبل بعض شباب القرية، حوالى ثلاثة أو أربعة أفراد تتوافر فيهم الخبرة والقدرة الجسدية اللازمة لأعمال الحفر التى يقومون بها، ولا يتم استئجار الشباب القائمين على الحفر ودفن الميت؛ لأنهم يعتبرونه عملًا تطوعيًا وواجب ويبتغون رضاء ذويهم وأقاربهم من سكان القرية. ويمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية فى هذه المواقف تتجلى بصفتها التضامنية، وتظهر فى أعظم صورها فى أمور تجهيز الميت، وهو أمر يسهم فى المزيد من الترابط والمشاركة الاجتماعية.

وجدير بالذكر أن أهل الميت يحرصون على أن يكون تجهيز الميت من ماله الخاص، أما فى حالة موت الفقير فيتم تجهيزه من خلال التبرعات التى تم جمعها من خلال جمعية "دفن الموتى" التى أسهم أهل القرية فى إنشائها، وتمويلها باشتراك شهرى.

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة "منى الفرنوانى" والتى تدور حول اهتمام أهل الميت بالإسراع فى تجهيزه من أموال الميت، وفى حالة عدم الاستطاعة تقوم الجمعية بتزويد أهل الميت بالنعش الذى يحمل فيه، وكذلك الكفن.

الغسل: يشير بعض الإخباريين بمجتمع الدراسة بأنهم كانوا إلى وقت قريب جدًا يحضرون برسيمًا أو خف ذرة ويفرشونها للميت[*]، ويستعينون بمُغسل وهو شخص من أهل القرية يكون حافظًا لآيات القرآن وللأدعية الدينية للقيام بتغسيله، وأثناء عملية التغسيل يرتدى فى يديه كيسا للوضوء وآخر للغسيل حتى لا تلمس يديه الجثة، وفي حالة عدم وجوده يقوم أحد أقربائه المقربين بتغسيله، ولو المُتُوفىَ سيدة تقوم واحدة من القرية بتغسيلها وهى غالبًا ما تكون ممن تحفظ القرآن وأدعية للميت وتدعو لها، وباقى الحاضرات من السيدات يرددون وراءها الأدعية. ويوضأ المتوفى وضوءًا كأنه سيصلى، وبعد الوضوء يُمنع تقبيل المتوفى. ويتم ربط الرباط من أعلى الرأس ورباط في منطقة الوسط ورباط يربط الرجلين معا. مع عدم ظهور أى عورة "سواء للرجل أو المرأة"، أما الآن يقومون بهذه العملية فى السرير الذى فاضت روحه عليه...

يُحضر للغسل ليفة و صابونة و عطر، ويوضع عطر في الماء الذي يُغْسل به المتوفي، وقبل الغسل توضع الحناء على جثة الميت ثم يتم الغسل ويكفن بخمسة عشر ذراع من القماش الأبيض. ثم يحمل المتوفى على الأعناق حتى المدافن وهم صامتون

---

[*] وفى الباجندا بأفريقيا لديهم معتقدات نحو المتوفى فعلى أرملة المتوفى وأخوته يقومون بغسل الجثة بعصارة نخاع سيقان الموز، ثم لف الجثة بعد ذلك فى قماش لحاء الشجر مع ترك الوجه عاريا، ثم وضعه فى الفراش فى حجرة فى وسط المنزل من الداخل وتجميع العائلة والأصدقاء والجيران فى المنزل. وبقاء أرملة المتوفى وبناته لعدة شهور لايغسلن شعورهن ولا يقمن بقص هذه الشعور ولا أظافرهن ولابد أن ينمن على الأرض فى المساء، ولا يتم أى اتصال جنسى بينهم وبين أزواجهن وكذلك فإن ابناء المتوفى لا يقصرن شعورهن.

ومن بين المعتقدات التقليدية فى الباجندا بإفريقيا تقديم التضحيات والقرابين للميت وبناء كوخ صغير فى حديقة المنزل لسكنى روح المتوفى

(*)عبد العظيم بدوى محمد البرماوى: التغير الاجتماعى عند الباجندا"دراسة أنثربولوجية عن تغير مجتمع تقليدى"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية،قسم الأنثربولوجيا، إشراف د.أحمد أبو زيد١٩٨٧.

ولا تذهب النساء معهم، وبعد الدفن تقرأ للمتوفى الصمدية أحدعشر مرة، ثم الفاتحة والدعاء بالرحمة، ثم يتم تعزية أهل المتوفى عند الجبانة. والعزاء يكون لمدة ثلاثة أيام، وربما أكثر من هذه المدة عند البعض، بينما كانت قى الزمن الماضى تمتد إلى سنة كاملة.

بعد الغسل، ووضع جثة المتوفى فى النعش وقبل الدفن وصلاة الجنازة تنحر الذبيحة ويطلقون عليها "الونيسة" عند خروج الميت من داره، وذلك أمام النعش ويطعم منها الفقراء والمساكين ولايجوز لأهل المتوفى الأكل من لحمها حتى تكون خالصة للفقراء والمساكين، اعتقادا أن هذه الذبيحة تؤنس روح الميت فى قبره وثواب توزيع لحمها يكون خالصا له فى ميزان حسناته وفقا لنية فعلها، والله أعلم، ولكن هذا ما يعمل كمعتقد لدى البعض وليس الكل من أهل القرية أى من القادرين ماديا على ذلك–والذبح على روح الميت لها جذورها التاريخية ترجع إلى عهد الفراعنة حيث كانت تقدم كقرابين للآلهة.

وقبل الدفن تتم صلاة الجنازة، ثم يحمل إلى المقابر، و يدفن فى اللحد (القبر)، ويتم فك الأربطة رباط الرأس أولا، ثم يقومون بوضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وباقي الكفن كماهو. وهم يحاولون أن يبعدوا الكفن عن وجه المتوفى– اعتقادا منهم أنه عندما تنتفخ جثة المتوفى ويأتى الكفن على وجهه، يؤدى ذلك إلى أن يأخذ الكفن باقى العائلة وراءه – ثم يقومون بردم التراب عليه، و يُرش اللحد بالماء، ويزرع نبات الصبار الأخضر، اعتقادًا منهم بأن النبات الأخضر يجعل تربته رطبة، ويُخفف عن ذنوبه، ثم يقومون بالدعاء له...، ثم العودة إلى بيت المتوفى لاستقبال المُعزين. و إذا توفي الميت ليلا يبدأ بتلتيمه ثم خلع ملابسه التى يرتديها وترك جلبابًا واحدًا فقط ليسهل عملية خلع الملابس أثناء الغُسل، ثم يقومون بتشغيل شريط للقرآن الكريم على جهاز التسجيل بجواره. ويقوم أهله وأقاربه بتقبيله –قبل تغسيله– بقبلة الوداع .

نجد أن هذه العادات المرتبطة بطقوس الوفاة لها صفة الثبات والاستمرار فى الثلاث مجتمعات التى تمت دراستها من حيث الاعتقاد بوضع نبات اخضر فى اللحد يؤدى إلى تخفيف الذنوب، وقراءة القرآن الكريم لوجود روح الميت مازالت موجودة فى مكان الوفاة، وهى تدل على إيمان المصريين بوجود حياة أخرى، وإعداد الروح لوجودها الجديد والإندماج فى المكانة الجديدة، وأن كل الطقوس التى تتضمن مرورا أو انتقالا من حالة لأخرى، تشترك

فى بناء واحد تحدده الوظيفة الضرورية للانفصال عن مكانة واحدة، وتدل هذه الوظيفة على أن المجتمع يعيش ويستمر ويبقى على الرغم من اختفاء بعض أفراده على مر الزمن. كما يدل ذلك على عمق التدين لدى الشخصية المصرية وإيمانها بوجود حياة أخرى.

مخلفات الغسل:

- يُحتفظ بالليفة التي يُغَسل بها الميت بل يُحرم إلقاؤها (رميها)، وتُستخدم عند الحاجة لها وذلك فى حالتين – الأولى: أن تستحم بها واحدة تأخرت فى الإنجاب (مكبوسة)، أما الحالة الثانية: أن تستحم بها الأم التى جف لبنها "المرضعة" لكى يستمر اللبن فى إدراره مرة ثانية، وتفك كبستهما على حد قولهم.

- ومياه الغسل محظور أن يضع أي شخص يده فيها (فال سيء)، وإذا حدث لابد من استبدالها فى الحال، ويوضع المسك في ماء الغسل، وكذلك بعد الغسل ممنوع أن يرى أحد المتوفى.

- يَحظُر الاستغناء عن سترة المتوفي التى كان يرتديها قبل الغُسل، فيقومون بتقسيمها وتوزيعها على أبناء المتوفى للذكرى.

- توجيه الأسرة نحو سلوك معين بعد الوفاة مثل منع الصراخ بعد حدوث الموت، أو بالتحذير من قلع الذهب (حيث كان قلع الذهب من دلائل الحزن فيما مضى نظرا لكون ارتدائه يعد من أمور التزين).

- وتتفق نتائج هذا البحث مع نتائج دراسة "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان". حيث تشير إلى الاعتقاد فى جدوى المياه المتخلفة عن الغسل فى علاج العقم عند النساء، وكذلك إلى قدرة المغسلة على علاج العقم من خلال نزول العاقر من تحت ماء الغسل. وقد يعزو هذا الاتفاق فى الاعتقاد رغم اختلاف المناطق التى تمت فيها الدراسة الميدانية لكلا الدراستين، إلا أن انتشار هذا الاعتقاد بين هذه المجتمعات التقليدية المصرية يمكن اعتباره محددًا ثقافيا وسمة لدى هذه المجتمعات . كما أنها تعبر عن وجود بعض التناقض فى الشخصية المصرية، فعلى الرغم من تدينه فهو يؤمن بالخرافات، واللجوء للدجالين فى علاجهم لأمراضهم، وهى من السمات التى تؤدى لعدم اللحاق بركب التقدم. . وبعض أهالى الريف تقوم بتقسيم الميراث وتوزيع ما يملكون في حياتهم "قبل الموت"، والبعض الأخر

يقسم أملاكه" بعد الوفاة" بالنسبة للأهالي الذين من أصل "ريفي" يقسم الميراث حسب الشرع، أما الأهالي الذين من أصول "صعيدية أو بدوية" تقسم الأملاك عادة على الأبناء والأخوة الذكور فقط، أما الإناث فيقومون بإرضائهم ببعض النقود، ويرجع ذلك لتفضيلهم الذكور على الإناث، وخشية أن تقسم الأرض أو تذهب إلى أحد خارج الوحدة القرابية.

ومن ثم تبدو العوامل الاقتصادية المرتبطة بالوفاة والتى تبدو أيضا فى صورة التهادى والتبادل الذى يتخذ شكل إخراج صوانى الطعام أيام العزاء من منازل الأهل والجيران لمساعدة أهل المتوفى وللتخفيف عنهم.

وتعكس تلك العوامل والرموز الاقتصادية ملامح شعائر ومرحلة الإندماج، فهى تهدف إلى إعادة توافق أفراد المجتمع مع الأزمة الحياتية التى واجهتهم.

كما أوضحت الدراسة الميدانية أن بعض الناس فى مجتمع البحث يوصون قبل موتهم بدفنهم مع شخص محدد قد توفى من قبل. وغالبا ما يكون الأب بالنسبة للرجال، والأم بالنسبة للنساء؛ وذلك بدافع المحبة الخالصة التى تدفع إلى حسن الاستضافة فى العالم الآخر، كما تشير هذه الوصية إلى اعتقاد المشرفين على الموت بأن حياتهم الأخرى ستكون على شاكلة الحياة الأولى من العلاقات وطيب المكان.

كما أجمع الأخباريون أن بعض الناس يوجهون وصيتهم بضرورة قراءة الفاتحة على روحهم. والوصية هنا بقراءة فاتحة الكتاب تساعد المتوفى على الإندماج مع حياته الجديدة داخل القبر حيث لا ظلام ولا عذاب.

وحرص المحتضر على أن يوصى ببعض الوصايا للمقربين إليه قبل موته، فى المجتمعات التقليدية الريفية الثلاثة، وكذلك قيامه ببعض الأعمال. ذلك الاتفاق يشير إلى محاولات المحتضر الاندماج فى الحياة الأخرى والانفصال عن الحياة الأولى. وعلى الرغم من هذا الاتفاق إلا أن هناك اختلافا فى بعض الوصايا تتناسب مع الخصوصية الثقافية لكل منطقة.

ومساعدة المتوفى على الرحيل والانتقال إلى العالم الآخر ترتبط هذه فى مجتمع الدراسة بالقيم والشعائر الدينية وتتمثل فى العادات والشعائر الهامشية المتعلقة بالوفاة

كتسهيل طلوع الروح، وتلاوة الشهادة من الحاضرين، والممارسات التى تتم بعد وفاة المتوفى "الكفن، صلاة الجنازة،"، أما شعائر الاندماج فتتمثل فى عادات الدفن وتلقين المتوفى.

الديون: فى حالة وجود ديون على الميت يتم سدادها قبل الذهاب به إلى المقابر، حيث يصيح ابن المُتوفى في "ميكرفون الجامع" بعد صلاة الجنازة، قائًلا: "إذا كان هناك أحد له فلوس عند والدي يأتى وأنا أسددها له". ويرجع ذلك لإيمان الإنسان المصرى بالحساب والعقاب؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد يسامح ويغفر ذنوب العبد فى حقه، ولكنه لايغفر ذنوب العباد لبعضهم البعض قبل أن يسامحوا هم أنفسهم بعضهم البعض، ولذلك يحرص أهل المتوفى على ضرورة رد الحقوق لأصحابها وتبرئة ذمة المتوفى قبل أن يقف أمام ربه للحساب.

مدة الحداد :أهل الصعيد يستمرون في الحداد عاما كاملا، أما الريفيون و أهل البدو أقصى مدة حداد لهم أربعين يوما.

"وقد أخبرتنا إحدى الإخباريات إنه منذ وقت غير بعيد كانت النساء عند العزاء تقمن بالصراخ والعويل قبل الدخول إلى بيت المتوفى ونحملن فى أيديهن عصى قصيرة من أى نوع، ويعنى هذا أنها لاتدخل البيت إلا وهى تحمل شيئا فى يديها وتضع صواحب المتوفى أو قريباته من النساء قطعة من البرش القديم على ظهورهن، وكانوا يتحزمن عليها وهى علامة على أنها إحدى قريبات البيت حتى يمكنهن التعرف عليها بسهولة، ويجب أن تتجرد النسوة من الحلى أثناء التعزية كما أن قريبات المتوفى لا يلبسن الذهب لمدة أربعين يوما، كما يقمن بتعرية رؤوسهن وتحزيم أنفسهن ويضعن الطين أو الرماد على رؤسهن ويأتى الرجال مسرعين ويقومون بالتعزية."

ثالثا– الدفن:

وصف المقابر:

هى قطعة أرض فضاء في صحراء بعيدة تقع فى شرق القرية بحوالى أربعة عشر كيلو تقريبا، ويطلق عليها مدافن الهدى من جهة منطقة "٦ "، وطريق المقابر يسمى طريق الهدى أيضا، والمقابر عبارة عن حفرة في الأرض بدون أى بنيان. ويُكتفى بوضع طوبة كشاهد،.وهذا يدل على تأثير الدين الإسلامى بعدم عمل شاهد للقبر(الارتفاع به عن سطح الأرض).

- عادة يذهب الشباب إلى المدافن لحفر اللحد، حيث لا توجد مقابر مشيدة، وعندما ينتهون من حفر اللحد يقومون بإبلاغ أسرة المتوفى أنهم انتهوا من تجهيز المدفن، ثم يحمل المتوفى ويذهبون به إلى الجامع ويقومون بالصلاة عليه فى المسجد "صلاة الجنازة"، ثم يحمل إلى مثواه الأخير "المقابر" في عربة ملاكى أو أجرة، وتسير وراءه عربات نصف نقل تقل المعزين. ويتم فك الأربطة ويقومون بردم التراب عليه، وبعد ذلك يقرأون بعض الآيات القرآنية و الفاتحة ويلقنوه الشهادة، ثم يعودون إلى بيت المتوفي لاستقبال المُعزين.

- واجبات العزاء:

- والعزاء فى المقابر يكون "مقصًورًا" على من يأتون من أماكن بعيدة ومن القرى المجاورة، أما الأقارب فيتلقون منهم العزاء بمنزل الميت لمدة ثلاثة أيام، أو يُفترش لهم فى مركز الشباب فى أول يوم فقط من وفاة الميت، واليومان الثانى والثالث بمنزل المتوفى.

- تحرص بعض العائلات على استدعاء المقرئين فى أيام العزاء بينما يحرص الآخرون على الاستعانة بالمذياع أو أجهزة التسجيل خلال هذه الأيام. كل حسب ظروفه المادية وإمكاناته الاقتصادية. ويدل على ذلك أن المصرى حتى وإن كان فى حالة حزن يميل إلى التفاخر والتباهى بقدرته المالية على إحضار أغلى المقرئين.

من العادات الشائعة عند وفاة الميت يدبح جدي أو خروف فى مجتمع الدراسة وإذا لم يكن عند أهل المتوفي ما يذبحونه، يأخذ الأضحية من جاره.

وقد أشارت "منى الفرنوانى" فى دراستها لقرية البراجيل بالجيزة وجود هذه العادة حيث يقوم أهل المتوفى بدبح "عجل" لحظة خروج نعشه ويوزع اللحم على الفقراء—أما فى قرية الأكرم بالمنوفية فقد أشار "سميح شعلان" بأن الرحمة تتضمن الذبيحة وتكون هذه الذبيحة "ثور من البقر" أو "الجاموس"، كما يمكن أيضا ذبح إناث هذين النوعين. حيث تعتبر الأضحية زكاة على روح المتوفى، ومن ثم يظنون أن الذبح قد يرحم المتوفى ويساعد على الغفران له، وقربانا لتخفيف ذنوب الميت، ويجمع الإخباريون على استمرار هذا الاتجاه على الرغم من التغيرات التى حدثت فى القرية، وهذا يدل على ثبات هذه العادة، كما أن لها جذورًا تاريخبة ترجع إلى عصر الفراعنة حيث كانوا يقدمون القرابين للآلهة. خوفا من يوم

الحساب، كما تعبر عن صفة أصيلة فى المجتمعات الريفية التقليدية وفى الشخصية المصرية هى النبل والجود والكرم والتآزر وقت الشدة.

بعض المعتقدات المرتبطة بالقبر:

تدور فى مجتمع البحث بعض المعتقدات المرتبطة بالقبر مثل علاج العواقر والأطفال من خلال القبر، معتفدات خاصة بدفن الأطفال، وعلاقة القبر بالميت الصالح والميت الطالح:

هناك اعتقاد سائد بأن الأم التى تموت ويدفن معها مولودها يكون سببا فى دخولها الجنة، ويكون سببا فى رحمة كل الموتى.

كما أن هناك اعتقادا بأن الأم التى يموت لها طفل وينكفأ على وجهه داخل القبر يحدث للأم عقم، لذلك يشددون على اللُحاد بأهمية التأكد من رقدة الطفل الميت فى القبر.

ويعتقدون أن الميت الصالح يكون قبره منور، ووزنه خفيف بالنعش ويجرى بالجنازة، وعكس الحال إذا كان الميت طالحا .

لقد أشارت كل " منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان" إلى انتشار بعض تلك المعتقدات فى قرية "البراجيل" وكفر "الأكرم" إلا أن البعض يكون لها تفسيرات مختلفة. فعلى سبيل المثال يفسر بطء مسيرة الجنازة فى "البراجيل" يرجع إلى وقوف الملائكة أمام النعش "لكى ترحب به. "الملايكة كانت واقفة أمامه".أما فى منطقة البحث "قرية العبور" و"الأكرم" يفسر هذا البطء بأن الميت عمله غير طيب، وخائف من الحساب، وهذا يعطى مؤشرًا لإيمان المصرى بالغيبيات والروحانيات والخرافات.

توزيع الميراث:

يقوم بعض أهالى الريف بتقسيم وتوزيع ماتملك في حياتها "قبل الموت" و البعض الأخر يقسمون أملاكهم "بعد الوفاة". بالنسة للأهالي الذين من أصل "ريفي" يقسم الميراث حسب الشرع، أما الأهالي الذين من أصول "صعيدية أو بدوية" تقسم الأملاك عادة على الأبناء والأخوة الذكور فقط،، أما الإناث فيقومون بإرضائهم ببعض النقود.

وتتفق دراسة "منى الفرنوانى "بأن هناك حالات قد يتم فيها توزيع التركة بما يخالف الشرع، قد تكون بزيادة نصيب الذكور عن الإناث؛ وذلك خوفا على الميراث من ضياعه بين يدى أزواجهن، أو أن تقسم الأرض وتذهب إلى أحد خارج الوحدة القرابية، أو لتفضيلهم

الذكور عن الإناث أو قد تكون بحرمان أحد الأبناء بسبب عصيانه من نصيبه الشرعى نظير عصيانه لوالديه وخروجه عن طاعتهم. ولم تشر دراسة "سميح شعلان" إلى هذه التفرقة عند توزيع التركة مما يدل على أنها ليست سمة أصيلة فى المجتمعات التقليدية الريفية.

قيود الحداد(المحددات):

قيود تتعلق بالطعام:

يُحَرم أهل الميت على أنفسهم فى فترة الحداد طهى المحاشى أو الكحك والبسكويت والفطير (أى صناعته بالمنزل)، ومن يفعل ذلك ينُظر له أهالى القرية نظرة سيئة، ويرون أنه تصرف غير أخلاقى، لأن من يفعل ذللك معناه من وجهة نظرهم أنه سعيد لوفاة المتوفى.

قيود تتعلق بالملبس

يلتزم أهل المتوفى بلبس ملابس الحداد السوداء لمدة عام إذا كان المتوفى الأب أو الأم أو الأخ أو الأبن، ومن القيود التى يشير الإخباريون إليها ارتداء السيدات الملابس السوداء لمدة عام فى حالة وفاة أحد الوالدين أو الأبناء، ولمدة أربعين يوما فى حالة موت أحد الأقارب، كما تراعى الزائرات من الجيران ارتداء الملابس السوداء حين يحضرن لزيارة أهل المتوفى، والبعض من الجيران يشارك أهل المتوفى لبس الحداد لمدة أربعين يوما، والرجال يرتدون الملابس الداكنة لمدة ثلاثة أيام.

قيود على العلاقات الجنسية

المرأة التى يموت عنها والدها أو والدتها أو ابنها يحترم الزوج مشاعرها وحزنها ولايقترب منها جنسيا لمدة أربعين يوما، وأحيانا تزيد عن هذه الفترة قليلا أما إذا حدث العكس فغالبا الرجل لا يصبر، وقد علقت إحدى الإخباريات (أن زوجها نام معها ثانى يوم دفن أمه قائلا الحى أبقى من الميت).

قيود على أجهزة المنزل:

- يحظر على أهل المتوفى تشغيل التلفاز أوإقامة أو حضور أى فرح لمدة تتراوح بين أربعين يوما وتسعين يوما بالنسبة" للأسر الريفية و البدوية" الأصل، ولمدة عام كامل "لأسر أهل الصعيد".

قيود على الخروج من المنزل:

المرأة المتزوجة ويموت عنها زوجها لاتخرج من مسكنها لمدة أربعة شهور وعشرة أيام حداد على زوجها وطبقا لأحكام الشريعة الإسلامية إلا فى الضرورة القصوى(إعلان وراثة....) أوفى حالة ما كانت تعمل ولا تستطيع أخذ إجازة طول هذه الفترة .

قيود عند الرجوع من المدافن:

– لايدخل "الرجال" على ذويهم بعد رجوعهم من المقابر بدون: غسل وجوههم وخلع أحذيتهم –والتى قد تحمل بداخلها بعض تراب المدافن– لأنهم يعتبرون ذلك (فألًا سيئًا).

– تتفق القيود الخاصة بالملبس وبالطعام والخروج من المنزل فى مجتمع الدراسة مع القيود التى تضعها القرى الريفية التقليدية المشار إليها سابقا، وذلك من خلال الالتزام من جانب أهل الميت والمهتمين بمشاركتهم فترة الحداد بعدم الاستمتاع بكل مايشير إلى بهجة الحياة وزخرفها وزينتها. ولعل هذه المشاركة تشير إلى مدى قوة وعمق العلاقات الأولية فى المجتمعات التقليدية. كما تعبر عن مدى التآزر و التضامن بين أفراد المجتمع مما يدل على أنها سمة أساسية للشخصية المصرية.

مناسبات زيارة القبور:

زيارة القبور: يقوم أقارب المتوفى بزيارة قبر الميت بعد أسبوع من دفنه فى أيام الخميس التالية للوفاة لمدة ثلاثة أسابيع متتالية. وفى الأربعين (وترتبط هذه الزيارة من عهد الفراعنة إلى وقتنا هذا وهو تمام إجراءات التحنيط التى كانت تجرى لجثة المتوفى آنذاك وقد توارثها المصريون وتتم فيه زيارة قبر المتوفى).

وتنتشر تلك العادات الجنائزية على الأخص بين أقباط الصعيد، ويحمل جسد المتوفى إلى الكنيسة عند الوفاة لتتلى عليه الصلوات الجنائزية، ثم يزور القس منزل المتوفى فى اليوم الثالث بعد الوفاة لتلك الصلوات الخاصة بصرف روح المتوفى، حيث يعتقد الأقباط أن روح المتوفى تظل هائمة فى المنزل حتى يتم ذلك الصرف، ويبارك القسيس الأماكن بالماء المضاف إليه الملح وغصن أخضر وبعض البقدونس أو البرسيم ويرش بها ملابس المتوفى، ويعقب ذلك إقامة القداسات فى اليوم السابع، واليوم الخامس عشر، واليوم الأربعين[٢١].

المناسبات الدورية لزيارة القبور: يتم الذهاب لزيارة المقابر فى الأعياد (طلعة العيدين الفطر والأضحى)، وأيضا فى المواسم خاصة مواسم: رجب وشعبان وأيام الخميس من هذه الأشهر والتى تقوم بها السيدات لتدل على حرص أهل المتوفى بالذهاب إلى زيارة المقابر فى المناسبات الدورية (الأعياد والمواسم) وفى مجتمع الدراسة بعض الأسر تقوم بعمل سرادق فى الأربعين ويستقدمون المقرئين من خارج القرية لتلاوة القرآن، ويستقبلون المعزين، ويوم الذكرى السنوية الأولى للوفاة كان أبناء الطبقة العليا يقيمون سرادقا لهذا الغرض فى حين يقتصر الأمر بالنسبة لأهالى القرية من الطبقة الوسطى والدنيا على زيارة المقابر فقط أو قراءة بعض السور على روحه فى المنزل ويكون ذلك غالبا من القادرين ماديا على ذلك.

وتعد الخميسان وزيارة المقابر فى الأعياد والمواسم المختلفة مناسبات مهمة يحرص المصرى على آدائها والتى ترجع جذورها إلى عهد الفراعنة، مما يدل على أن هناك بعض السمات الثقافية التى تتسم بها الشخصية المصرية والتى تظهر فى عادات الموت، وكما أن استمرار هذه العادات والممارسات تظهر المعتقدات التى تدور حول وجود روح الميت فى الأرض وأنها لاتصعد الى السماء إلا بعد أربعين يوم، كما تدل على روح المشاركة و التآزر والتفاعل بين أبناء القرية من جهة أخرى، حيث لاتقتصر المشاركة على الأقارب المقربين فحسب، بل قد تمتد إلى دائرة الجيران وخاصة الملاصقين لمنزل أسرة المتوفى والذين تمتد جيرتهم إلى فترة زمنية طويلة، حيث تعمل (الجيرة) على تدعيم الروابط بين الأسر، وتسود هذه العلاقة فى المجتمعات الريفية التقليدية حيث تتميز العلاقات فيها بنمط العلاقات الوجه للوجه.

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج الدراستين المشار إليهما حول وجود قيود للحداد على الرغم من الاختلاف الزمنى لهاتين الدراستين، وكذا اختلاف أمكانهما، مما يشير إلى أن الحزن على الميت يدفع الأحياء إلى تحريم بعض المتع التى حرم منها المتوفى. وتظهر الدراسة الميدانية أن نسق الضبط غير الرسمى فى المجتمعات التقليدية يعمل على وضع هذه القيود للحداد على أسرة المتوفى والمقربين منهم من الأهل والجيران. والتى قد تجعل احتفالات أسر الجيران إلى مابعد مرور الأربعين يوما على الوفاة –هذا وقد يتوجه والد العروس إلى منزل أسرة المتوفى "صاحب الجرح" لإستئذانه فى إقامة فرح ولكى يثبت الجار

عدم مضايقته يتوجه لحضور الاحتفال و لوكان ذلك لدقائق معدودة–ولعل ذلك يشير إلى مدى رقة المشاعر وعمق التآزر بين أفراد المجتمع المصرى فى المجتمعات التقليدية ولعل ثبات هذه القيود (على الرغم من التخفف منها كما تشير دراستنا) يمكن القول بأنها تعد سمة من سمات الشخصية المصرية.

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة "منى الفرنوانى" و"سميح شعلان"أن بعض العادات والطقوس المرتبطة بالموت تتصف بالدينامية تبعا لما تفرضه عليها طبيعة الوظيفة المتغيرة، حسب التغير الاعتقادى الذى طرأ على الجماعة، فيحدث نوع من المزج أو الإحلال أو الإضافة على بعض جوانب العادة لتتوافق مع الدين الإسلامى، وذلك لإحداث نوع من التوازن بين العادة ذات الجذور العقائدية المصرية القديمة وبين الدين، ويبرز ذلك فى مظاهر الحداد من البكاء والتخلى عن الزينة ولبس الملابس السوداء لمدد طويلة– ماعدا سكان أهل مجتمع البحث والذين ترجع أصولهم إلى صعيد مصر كما سبق الذكر، وأيضا ماكان يحدث فى مصر فى العشرينات من القرن الماضى عند إعلان الموت، ومصاحبة الجنازة بالصراخ والعويل،وتلطيخ الرأس بالطين– وفى مظاهر الرحمة وشكل شاهد القبر الخاص بالرجال وتلقين الميت.

نتائج الدراسة الميدانية

بعد أن تعرضت الدراسة الميدانية للعادات والطقوس المصاحبة لوقوع الوفاة فى مجتمع محدد بحدود مكانية وزمانية، ومن خلال جوانب الاتفاق والاختلاف بين نتائج دراستنا، ونتائج دراسة كل من "منى الفرنوانى"، ودراسة "سميح شعلان" فى مجتمعان ريفيان تقليديان، حيث انطلقت منهما وما أضافته دراستنا الحالية إلى إمكانية استنباط سمات ثقافية عامة مشتركة تتميز بالثبات والاستمرار للمجتمعات الريفية التقليدية فى المجتمع المصرى.

تتجه الباحثة إلى استعراض أهم النتائج الواقعية المنبثقة من الفروض النظرية للدراسة. والدراسة الميدانية، لنقرر فى النهاية أن هناك سمات ثقافية عامة تذخر بها المجتمعات الريفية التقليدية، وعن الشخصية المصرية واضحة وممثلة فى الممارسات والعادات المصاحبة لحالات الوفاة وهى :–

التضامن والتآزر الاجتماعى: تعكس عادات الوفاة مدى ما تتمتع به المجتمعات الريفية التقليدية من حب للتعاون والتضامن الاجتماعى، ويشكل التماسك الاجتماعى وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أعراف لها أصول كقانون عام. أدت جميعا إلى وضع قيم ومعايير ثابتة بين أفراد الجماعة وشكلت إطارا مرجعيا لسلوكهم وآدابهم، وعبروا عن ذلك عند حدوث أزمات للبعض منهم، وخاصة وقت الشدائد وفى حالات الوفاة كإخراج صوانى الطعام لأسرة المتوفى وهى نوع من الهدايا الملزمة– يرى مالينوفسكى أن هذه الهدايا تتطلب دفع مقابل مماثل لها تماما فى المناسبات المماثلة– كذلك مشاركتهم فى حضور شعائر العزاء، كالجنازة والصبحة، والفرق والأربعين. وهى كلها رموز للتعرض للنقد إذا ما قصر الأفراد فى الوفاء بتلك الواجبات. كما أظهرت النتائج أن التضامن والتعاون سمة ثقافية أصيلة فى المجتمعات الريفية التقليدية ومن سمات الشخصية المصرية.

– تقديس الموت: حرص المصرى على التعبير عن مدى حزنه وشعوره بقدسية الموت، حيث تتصف بعض العادات والطقوس المرتبطة بالموت بالثبات تبعا لما تفرضه عليها طبيعة الاعتقاد فى المجتمعات التقليدية وسماتها وخصائصها كمنطقة ثقافية واتضح ذلك فى "مجتمع البحث"، وفى الدراسات السابقة المقارنة والتى أجريت فى الثمانينيات وأوائل التسعينيات، فضلا عن استمرار بعض قيود الحداد التي كانت تدعو إلى عدم طهى أوتحريم أكل بعض أنواع الطعام، و القيود المتعلقة بالملبس و مشاهدة التلفاز أو لبس الذهب أو تجديد أو بناء في دار المتوفي، فضلاً عن القيود المتعلقة بإضاءة بيت المتوفي، والعلاقات الجنسية ونظافة أهل بيته. وقد لقيت هذه القيود درجات متفاوتة من الاستجابة من حيث الاستمرار والحذف حسب اقتناع ممارسيها بأهميتها في التعبير عن الحزن والحداد على الميت، إلا أن الدراسة الميدانية تشير إلى الاتجاه نحو استمرار معظم تلك القيود.كما أن سمة تقديس الموت لها بعد زمنى يرجع إلى عادات الموت وطقوسه عند المصريين القدماء.

الحزن: "مسحة الحزن ظاهرة منتشرة فى المجتمعات الريفية التقليدية ويتضح ذلك فى الأساليب التى تتبع فى مناسبات الوفاة ومظاهره، تبدو كما لو كانت حزنا إجباريا. يفرضه الشخص على نفسه بدافع لاشعورى لايمكن أن يفطن إليه. ويتبع الوفاة بالجنائز والسهرات الحزينة .. ويقيم المصريون فى أغلب المستويات ثلاثة أيام (للحزن) وهذه التسمية وحدها

كفيلة بتوضيح المكنونات اللاشعورية التى تهيمن على الموقف وتفرضه فرضا على الإنسان فى تلك الظروف[٢٢].كذلك الخميسان فكل خميس يعد عزاء مستقلا، ثم الأربعين، ثم ما بينهما من زيارات للقبور فى المواسم والأعياد، ثم خاتمة السنة، وكلها مناسبات إجبارية للحزن وزرف الدمع، كذلك تظهر رغبة عارمة فى الاتجاه إلى الحزن. والأسى فى الموال المصرى.

انفراد الشعب المصرى بابتداع أساليب خاصة يعبر بها عن حزنه من صراخ وعويل، مما خلق دور "المعددة" أو دور"الندابة "ودور "ضاربة الطار" ويقومون بدور التعزية وأثناء تشييع الجنازة وبعدها، وبعد الدفن.

– التدين: ترتبط شعائر وعادات وتقاليد الوفاة بالقيم و الشعائر الدينية (وتظهر هذه الشعائر مدى تأثر الريفيين فى المجتمعات التقليدية بالدين، ومن أكثر السمات استمرارية وظهورًا وخاصة التدين الشعبى –إذا جاز لنا التعبير– الذى يختلط بكثير من المعتقدات والممارسات الموروثة من عصور قديمة، والتى تبعد عن مايدعو إليه الدين الصحيح، كالتبرك بالأولياء، وزيارة الأضرحة، والموالد، والإيمان بالأعمال السحرية، والخوف من الحسد، وشدة الإيمان بالقضاء والقدر.. ولكن بارتفاع الوعى الدينى وانتشار التعليم تخلت القرية المصرية خاصة فيما يتعلق بسلوكيات النساء عن بعض الممارسات الخاطئة.

التناقض: كما تظهر سمة التناقض كمحدد ثقافى للشخصية المصرية فى المجتمعات التقليدية، فنجد الإنسان المصرى يحزن ويبكى من صميم القلب ويشارك الآخرين أحزانهم حتى لو كانوا أعداءه، كما يتضح ذلك فى حزنه على موتاه، كما يتسم بالمرح وخفة الدم وإطلاق النكات حتى فى أشد أوقات المعاناة وأحلك الأزمات،

"أننا شعب نبكى إذا حزنا، ونبكى إذا فرحنا، ونقول "اللهم اجعله خيًرا"[٢٢].

كما يظهر هذا التناقض فى عمق التدين والإيمان بالله واليوم الآخر وقدرته، ومع ذلك تجده يؤمن بالخراقات والأعمال السحرية الشريرة التى قد تؤذى الغير وكثرة اللجوء إليه والتنجيم والشعوزة، وتتضح تلك السمة فى المجتمعات الريفية التقليدية من حكايات المحيطين بالمحتضر عن أرواح الموتى وعدم مفارقتها لمنزل المتوفى أربعين يوما، وحول الشخص المقتول وانتقام روحه من الأحياء بسبب المحددات،والمخاوف من عدم ذهاب

أهل المتوفى الثلاثة خميسان، واعتقادهم أن ماء الغُسل وسيلة لعلاج الكبس والعقم، والذبيحة كقربان لتخفيف ذنوب الميت، وكذلك مازالوا يؤمنون بالحسد ولهم من الممارسات الخاصة لتلافى السحر والحسد.

كما تجده فى كثير من الأوقات والمواقف شديد الصبر ضابطًا للنفس وفى نفس الوقت عندما يثور لايستطيع أن يوقفه أحد ولا تهدأ ثورته بسهولة.

حسن الخلق: إن مأساة الوفاة تظهر حسن خلق المصرى فى صفائه وسماحته ورقة مشاعره ومشاركته الوجدانية التى تعبر عن أصالة يصدر عنها نظام بنيانى للحياة، وتظهر هذه المشاركة الوجدانية والمعنوية بقيام الشباب من أهل القرية بحفر القبر للمتوفى، وبتعزية الأقارب و الجيران لأهل المتوفى، والبكاء معهم، ولبس الملابس السوداء، والتسرية عنهم بل وبمشاركتهم المادية أيضا بمدهم بولائم الطعام، وإهدائهم ذبيحة توزع على روح الميت. وحسن الخلق سمات اتسم بها المصرى القديم. فنجد فى" كتاب الموتى، ونصوص الأهرامات"، مايشير إلى كيف كان شكل العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة؟ حيث تقوم على التراحم والتواد والعطف والاحترام، بين أفراد المجتمع والحاكم أيضا، ممايدل على تمتع هذه السمات بالثبات والاستمرار.

التفاخر والتباهى من عيوب الشخصية المصرية التفاخر والتباهى بأنفسهم إلى حد الطنطنة، أو التهوين من أنفسنا إلى حد فقدان الثقة.. وفى الحالتين تهتز الرؤية ويضطرب الحكم الصحيح على الأشياء ... إن الانحصار فى إطار الذاتية، بدائية فى التفكير حين تكون الحضارة، وعدم ارتفاع إلى أفق الموضوعية.. كما أن المهانة والاستهانة تطفىء العقل والقلب خاصة إذا كانت بتركيز مكثف من الغير. فنجد فى مجتمع البحث و المجتمعات التقليدية التى تمت مقارنتها بدراستنا أنه حتى فى حالات الوفاة تحتفظ الطبقة الاجتماعية العليا ببعض الرموز كوسيلة للتعبير غير اللفظى عن ذاتها داخل مجتمع البحث، ويتمثل ذلك فى اختيار المقرئ جميل الصوت المرتفع الثمن من مصر، واختيار أقمشة الكفن وعدد طبقاتها، ووضع غطاء مختلف على النعش، والتباهى بقدرتهم المالية.

الصبر: – ويتضح من نتائج الدراسة أن سمة الصبر من السمات الأساسية للشخصية المصرية، فالفلاح المصرى صبور وصبره من النوع الفريد . وقد يرجع ذلك لطبيعة البيئة

الإيكولوجية التى نشأ فيها المصرى، فمصر بلد زراعية والفلاح المصرى لكى يجنى ويحصد الخير كان عليه أن يصبر على النبات حتى تنضج ثماره ويحق له أن يجنى ثمار عمله، ومن هنا كان صبره على مصيبة الموت وفقدان الأبناء والأهل، كفقدان المحصول ..الخ، فلا ييأس من رحمة ربنا، كما صبر على الشدائد والأزمات والمحن التى مر بها على مر الزمن . والتراث الشعبى وأدبه مملوء بالأمثال التى تبين أن المصريين يؤمنون بالصبر، ومن الأمثال العامية الشائعة التى تؤيد هذه الخاصية مثل "طول الصبر ينول الأمل"، "الصبر مفتاح الفرج"، " الصبر طيب" ...إلخ. والصبر قيمة اجتماعية مقبولة و مرغوبة عند أغلبية المصريين، وليس معنى أنه صبور أى يقبل الخضوع والاستكانة، كما يقول الأب عيروط، إن صفة الخنوع ليست صفة ثابتة والدليل على ذلك الثورات التى قام بها المصريون على مر التاريخ(٢٣).

وقد أكد فريق بحث إعادة بناء الإنسان المصرى، أن الصبر نمط سلوك يتكرر فى الحياة الاجتماعية وسمة أساسية تشكل الشخصية المصرية، وهو أشد القيم رسوخا فى تكوين ضمير الإنسان المصرى وأكثر القيم تأثيرا على حياة المصريين، وتوجيها لسلوكهم وعلاقاتهم وتصرفاته. والصبر كقيمة اجتماعية يعمل على تجانس الشعب المصرى حتى تصبح الحياة مقبولة ومحترمة.(٢٤)

فالصبر خاصية من الخصائص القومية عند المصريين يقوم بوظيفة اجتماعية من خلال معناه الدينى، لأن الدين حض على الصبر فى *قوله سبحانه وتعالى* { وبشر الصابرين }، { واستعينوا بالصبر و الصلاة }، والإنسان الصابر مؤمن بربه، يلجأ إليه إذا ابتلى بفاجعة أو مصيبة مستعينا به.

التواكل أو الاتكالية: يتسم الريفيون المصريون بالتواكل والاتكالية ويقول (إن شاءالله) ويعنى فى قرارة نفسه التخفف من العمل المقصود. إن هذه المشيئة ما هى إلا تأكيد للعزم فيقولون سوف نفعل . و يقولونها حين ينون ألا يفعلوا متهربين من مشيئة الله. من أجل أن يستشعروا الراحة فى (ضمان) لحل مشاكلهم. فكثيرا لايفرقون بين التوكل والتواكل.

– الكـرم: وهى صفة أصيلة متأصلة فى المجتمعات الريفية التقليدية ويظهر ذلك فى مناسباتهم وفى استقبالهم لضيوفهم وإكرامهم لهم، وفى صوانى الطعام التى تخرج من

بيوت الأسر المختلفة لمشاركة أهل المتوفى، وفى إهداء الجيران أيضا لبعضهم البعض ذبيحة كل حسب ما تسمح به ظروفه الاقتصادية عند حدوث وفاة .

كما أظهرت الدراسة مايلى:

- أن بعض العادات والطقوس تتصف بثبات ممارستها مع جذورها المصرية القديمة. وذلك لقدرتها على آداء وظائف ثابتة، واستمرارها إلى وقتنا الحالى مع اندثار القليل من هذه العادات بسبب التغير و انتشار التعليم واعتناق الدين الإسلامى
- أن أسهام التغير الاقتصادى الذى طرأ على المجتمع المصرى ككل أثر بالتالى على مجتمع البحث – من حيث الاتجاه إلى العمل – فى قصر فترة الحداد واختصار المدة الزمنية للزيارات الدورية للمقابر إلى فترات أقل.
- أشارت الدراسة إلى اتجاه مجتمع الدراسة نحو المادية والفردية، مما أثر فى التخفف من دلائل الحزن وفترة الحداد.
- أن التطور قد أسهم فى سير حركة القرية نحو التمدن.
- أن العادات و التقاليد تلعب دورًا مهمًا فى تحقيق الضبط الاجتماعى. وتظهر تلك العادات والطقوس التى تبدو فى إحدى مظاهرها فى التضامن الاجتماعى المتمثل فى إخراج صوانى الطعام، والاشتراك فى شعائر العزاء فى مجتمع الدراسة والخوف من النقد الاجتماعى إذا ماقصر الأفراد فى الوفاء بتلك الالتزامات.
- تعكس عادات وتقاليد وشعائر الوفاة الكثير من العوامل الاقتصادية والرموز الاجتماعية المتمثلة فى الأرث، التهادى، تباين تكاليف الحياة والجنازة حسب المستوى الاقتصادى للمتوفى.
- يوجد اعتقاد بأن القوى والشرور كالسحر والحسد تزداد فى فترات الانتقال من حالة إلى حالة عند الميلاد والزواج والموت على نحو ما يقول "أدولف باخ". A Bach[٢٥]. لذا توجد العديد من الممارسات والرموز السحرية لتجنب تلك الأخطار.
- كما تعكس شعائر وعادات وتقاليد الوفاة الكثير من الوسائل الوقائية والدفاعية. والمعتقدات الشعبية التى تستهدف حماية الأحياء من الأرواح. (وتظهر تلك الصفة المتأصلة فى الشخصية المصرية ومدى إيمانها بأن أرواح الموتى تظل موجودة فى الأرض بعد الوفاة،

وأن الشخص الذى يقتل غدرا أو فى حادثة يمكن أن ينتقم من الأحياء ويؤذيهم، ولذلك نجد إلى الآن يقوم بعض المصريين (بوضع أحجبه بها بعض الآيات القرآنية أو أنه يضع المصحف بجوار الرأس عند النوم، وقراءة المعوذات، وسورة الكرسى).

المراجع

(١) محمد الجوهري: علم الفولكلور– الأسس النظرية والمنهجية، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص١٠٥:١٠٦.

(2) Richard Huntington and Peter Metcalf, Celebrations of death (London, Cambridge University press, 1999.,25.

(٣) فاروق محمد العادلى: المجتمع القروى دراسة فى فكر ردفيلد من خلال منظور أنثربولوجى ثقافى فى بحوث الأنثربولوجيا العربية، تحرير ناهد صالح– مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية فى كلية الآداب، جامعة القاهرة،ط١،٢٠٠٢، ص ص٤٨١–٤٨٢.

(٤) شارلوت سيمور سميث، ت. محمد الجوهرى وآخرين: موسوعة علم الإنسان – المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية، القاهرة، المجلس الأعلي للثقافة، ١٩٩٨،ص٥٠٠.

(٥) بول غليونى ت. زينب الدواجنى:الحضارة الطبية فى مصر القديمة، دار المعارف، مصر،١٩٦٥، ص٣٢.

(٦) أمين سلامة (مترجم): الحياة اليومية عند قدماءالمصريين، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦،ص٦٤.

(٧) محمد الجوهري، وعبد الله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٠٣.

(٨) ....: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٩) محمد الجوهري: علم الفولكلور، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(١٠) محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى: مرجع سابق، ص٣٥٢.

(١١) ....: مرجع سابق، ١٦٩.

(١٢) محمد الجوهرى: علم الفولكلور، مرجع سابق، ص٣٤٢.

(13) Arnold Van Gennep:: The Rites

(14) of Passage translated by: Monika B. Vizedam and Gabrielle L. Coffee. Routledge and Kegan Paul, London, 1960.P.P2,3

(15) Ibid,p.6

(١٦) منى ابراهيم حامد الفرنواني: بعض ملامح التغير الاجتماعي والثقافي في الريف المصري كما تعكسه عادات دورة الحياة، دراسة متعمقة لقرية مصرية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، ١٩٨٩.

(١٧) سميح عبد الغفار شعلان: الموت فى المأثورات الشعبية،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(١٨) الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ٢٠١٠.

(١٩) شمس الدين فرح الانصارى القرطبى: التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة، دار الكتب العلمية، بيرؤت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥،ص٧.

(٢٠) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى "أسيا" أثرالتحولات الاجتماعية والاقتصادية على الأسرة العربية، دراسة استطلاعية" الأمم المنحدة، إبريل١٩٩٣،ص٢.

(٢١)

(٢٢) محمد سعيد فرح: الشخصية القومية، منشأة دار المعارف، ب.ت،ص١١٢.

(٢٣) جامعة الاسكندرية: ابحاث اعادة بناء الانسان المصرى، التقرير الثالث.

(٢٤) فاطمة حسين المصرى: الشخصية المصرية "من خلال دراسة بعض مظاهرالفولكلور المصرى" دراسة نفسية تحليلية أنثربولوجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

(٢٥) نهلة إبراهيم: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للشخصية القومية المصرية،الطبعة الأولى، ٢٠٠٦

(٢٦) أحمد زايد واعتماد علام: التغير الاجتماعى، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٠٨.

(٢٧) محمد عبده محجوب،فاروق أحمد مصطفى وآخرون:دراسات انثربولوجية فى المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥،

(28) Bronislow Malinowski, Argonauts of the Western Pacific. Dutton and Company,Inc., London,PP24,25

(29) Ellen baronet, the Appointed How Death, world View and Social change in Brittang(University of claifornia press,1989,pp.328-339

(٣٠) محمد الجوهري، عبد الحميد حواس، علياء شكري، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية، القسم الاول من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩م. ص١٠ مرجع رقم١١

(31) (s): Stephanie CoontzSource; Journal of Marriage and Family,Vol. 66, No. 4 (Nov., 2004), pp. 974-979Published by: National Council on Family, Relations.StableURL71.Accessed: . 14/05/2013

















